الحسن والحسين

سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف

المرحوم

محمد رضا

أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول سابقاً

ومؤلف : محمد رسول الله ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي

القاهرة

[١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م]

ملتزم الطبع والنشر أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسن والحسين

سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف
المرحوم
محمد رضا
أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول سابقاً
ومؤلف : محمد رسول الله ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي

القاهرة
[١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م]

ملتزمو الطبع والنشر أصحاب
دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يدور بحث هذا الكتاب كما هو ظاهر من عنوانه على الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين . أما الإمام على فقد أفردت له كتاباً خاصاً . وقبل البدء فى هذا التاريخ ، رأيت أن أمهد له حتى يلم القارئ بمجمل الحوادث المهمة منذ بدء خلافة على رضى الله عنه حتى يسهل تتبع ما فصلناه فى كتابنا هذا .

لما بويع لعلى رضى الله عنه بالخلافة أراد التخلص من طلحة والزبير اللذين كانا يطمعان فيها وقد كان لهما أتباع فى الحجاز والعراق . فأبيا مبايعته وقامت عائشة رضى الله عنها زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين فى وجه على بعد أن كانت ساخطة على عثمان تطالب بدمه فانضم إليها طلحة والزبير وكانت تبغض علياً رضى الله عنه بسبب حادثة الإفك . فالتقى جيشها بجيش على فى ٩ ديسمبر سنة ٦٥٦ . فهزمها فى موقعة الجمل وقتل طلحة والزبير فى هذه الموقعة وأسرت عائشة ثم سيرها على إلى المدينة معززة مكرمة . وبذلك انتهت أول موقعة حارب فيها المسلمون المسلمين .

واتخذ على رضى الله عنه الكوفة عاصمة للخلافة بعد أن عزل ولاة عثمان . ثم طالب معاوية بن أبى سفيان الذى كان وقتئذ والياً على الشام بدم عثمان وعلق قميصه الذى قتل فيه وأصابع زوجته نائلة بجامع دمشق . يريد بذلك إثارة عواطف المسلمين على على وطلب منه أن يسلم إليه قتلة عثمان . وعلى ذلك اشتد النزاع بينهما . والتقى الجيشان بصفين شمال الرقة على ضفة الفرات الغربية . وكان جيش على مؤلفاً من ٥٠٠٠٠ مقاتل من أهل العراق .

وخرج معاوية بأهل الشام واستمرت المناوشات بينهما عدة أسابيع وكانت الموقعة الختامية فى ٢٦ يوليه سنة ٦٥٧ م وقائد جيش علىّ مالك الأشتر وبينما كان هذا الجيش عَلَى وشك الانتصار ، اقترح عمرو بن العاص رفع المصاحف ، فرفعت عَلَى سنان الرماح ولوّح بها فى الهواء أمام جيش علىّ وطلبوا تحكيم القرآن . فوقف القتال وتباحث الفريقان فى هذه المسألة واضطر علىّ إلى قبول التحكيم تجنباً لإراقة الدماء فاختار معاوية عمرو بن العاص حكماً واختار جيش علىّ أبا موسى الأشعرى رغماً عن معارضة علىّ لهذا الاختيار لأنه كان يعلم أن أبا موسى الذى اعتزل القتال لا يصلح لهذه المهمة . وانتهى التحكيم بخلع علىّ . ولم يكن معاوية فى ذلك الوقت خليفة بل كان والياً فرفعه التحكيم إلى مستوى علىّ الذى كان خليفة المسلمين . وكان قبول التحكيم نكبة عَلَى علىّ رضى الله عنه . إذ انشق عليه كثير من أتباعه لذلك وتسموا بالخوارج وناصبوه العداوة وجندوا جيشاً منهم يبلغ ٤٠٠٠ وحاربوه بقيادة عبد الله بن وهب الراسبى . فاشتبك القتال بالنهروان . فأبادهم علىّ ولم ينج منهم غير قليل . وأخيراً اغتيل علىّ رضى الله عنه . اغتاله خارجىّ يدعى عبد الرحمن بن ملجم .

وبعد وفاة علىّ بويع لابنه الحسن بالخلافة فى العراق . لكن ما لبث الحسن أن تنازل لمعاوية تجنباً لإراقة دماء المسلمين فى حرب داخلية . ولم يكن لكثرة زواجه تأثير فى تنازله كما زعم فريق من المستشرقين . وكان الذين بايعوا الحسن ٤٠٠٠٠ أو نحو ذلك من أهل العراق لكنه لم يكن يثق بهم لما رأى من تفرق كلمتهم ومع ذلك لو كان محباً للقتال لاستطاع جمع شملهم وتجنيد جيش منهم . لكنه رأى أن الحرب الداخلية تضعف المسلمين إذ قد قتل كثير من كبار الصحابة فى موقعة الجمل وصفين بسبب النزاع عَلَى الخلافة . وأخيراً قتل أبوه غدراً فآثر اجتناب الحرب بأن ترك الأمر لمعاوية بعد أن اشترط عليه شروطاً قبل بعضها ورفض البعض الآخر وانتقل إلى المدينة تاركاً كل عداء . أما معاوية فكان لايزال حاقداً عَلَى علىّ رضى الله عنه فأباح شتمه بالشام وأهمل احتجاج الحسن عَلَى ذلك . ثم مات الحسن رضى الله عنه مسموماً ؛ سمته امرأته جعدة لأمر لا نعلمه وقالت الشيعة إن معاوية أغراها عَلَى ذلك ليولى ابنه يزيد الخلافة بعده وكان الحسن اشترط أن يكون هو الخليفة بعده .

أما الحسين فإنه أبى أن يبايع يزيد بن معاوية لأنه أحق بالخلافة ولأن يزيد كان متهماً في دينه وعدله . فاعتزم المسير إلى الكوفة بعد أن أتته كتب عديدة باستقدامه لمبايعته بالخلافة. فسار ومعه نفر قليل من أهله وصحبه ولم يعبأ برأى من نصحه بالعدول عن المسير . فلما علم يزيد بذلك ولى عبيد الله بن زياد عَلَى الكوفة وعزل النعمان بن بشير إذ قيل عنه انه ضعيف وعين ابن زياد عمر بن سعد قائداً عَلَى جيش يبلغ عدده ٤٠٠٠ لمحاربة الحسين . فحاربه فى كربلاء وهى قرية عَلَى بعد ٢٥ ميلاً من شمال غربى الكوفة فقتل الحسين فى هذه المعركة بعد أن جرح جراحات كثيرة وقتل من كان معه وأرسل رأسه إلى يزيد بدمشق وصارت الشيعة بعد ذلك تحتفل باليوم العاشر من محرم وهو يوم عاشوراء وتقيم مناحة عليه .

وعَلَى ذكر الشيعة نقول أن كثيراً منهم يقول إن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى فى مرضه لعلىّ ولم يصح ذلك من وجه يعوّل عليه وقد أنكرت الوصية عائشة رضى الله عنها وزعمت طائفة منهم أن النبى أوصى عَلَى إمامة علىّ بالوصف دون النص وزعموا أيضاً أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علىّ وقالوا إن الحسن بن علىّ كان هو الإمام بعد أبيه ثم أخوه الحسين كان إماماً بعد الحسن .

ولما قتل الحسين ندمت الشيعة وقتئذ عَلَى تقاعدهم عن نصرته ورأوا أن لا كفارة فى ذلك إلا الاستماتة دون الأخذ بثأره وسموا أنفسهم التوابين وكان رئيسهم سليمان بن صرد فحارب وقتل،وقتل كثير من أصحابه عام ٦٥ م ثم قام المختار بن أبى عبيد بثأر الحسين بن علىّ وقتل الذين قتلوه .

أهل البيت

أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أقرب الناس إليه وقد خصهم بعطفه ورعايته وكرمهم الله تعالى وخصهم بالطهارة وذهاب الرجس عنهم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قال ابن عباس ، نزلت هذه الآية فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم و به قال سعيدبن جبير وعكرمة وابن السائب ومقاتل ، هذا هو القول الأول .

والقول الثانى : أن المراد بأهل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلىّ والحسن والحسين . قاله أبو سعيد الخدرى وعائشة وأم سلمة .

ويرى فريق ثالث : أن أهل البيت هم عصبة رسول الله من المؤمنين وهم آل جعفر وآل عقيل وآل عباس .

وقال الزمخشرى : إن نساء النبى صلى الله عليه وسلم من أهـل بيته . وقال الرستغفى: والصحيح عندى ، أن المراد بأهل بيته ، نساؤه وآله . وهو قول الضحاك واختيار الزجاج لأن اللفظ صالح لهما عام فيهما .

وسئل زيد بن الأرقم عن حديث رسول الله (أذكركم الله فى أهل بيتى) من أهل بيته ؟ فقال : نساؤه من أهل بيته .

قالت عائشة رضى الله عنها : خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود . فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء علىّ فأدخـله معه ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وعن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمـر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول : الصلاة أهل البيت . ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وعن أم سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم عندى وعليّ وفاطمة والحسن والحسين . فجعلت لهما خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » .

وعن أبى الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليّ وفاطمة فقال : الصلاة . الصلاة . ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قال ابن عباس : لم يكن بطن من بطون قريش إلا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينهم قرابة فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه ، قال « ياقوم أذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم » .

وعن أبى الديلم قال : لما جيء بعليّ بن الحسين رضى الله عنهما فأقيم على درج دمشق . قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرنى الفتنة .

فقال له عليّ بن الحسين رضى الله عنه : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم . قال : ماقرأت « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . قال وإنكم لأنتم هم ؟ قال نعم .

ولا شك أن علياً وأولاده من أقرب أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنهما

سنة ٣ هـ (٦٢٥ م) — ٤٩ هـ (٦٦٩ م)

الحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ ، سبط النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أول أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيدة نساء العالمين . وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه . سماه رسول الله « الحسن » وعقّ عنه يوم سابعه (ذبح شاة) وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة . وهو خامس أهل الكساء (المجد والشرف) .

ولد الحسن فى النصف من شهر رمضان بالمدينة المنورة سنة ثلاث من الهجرة .

قالت أم الفضل [1] : يارسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك فى بيتى . قال : رأيت خيراً . تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم . فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم (ابنها)

تسميته بالحسن

قال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : « لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، أرونى ابنى . ما سميتموه . قلت سميته « حرباً » قال بل هو « حسن » . فلما ولد الحسين سميناه حرباً . قال بل هو حسين فلما ولد الثالث ، جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ماسميتموه . قلت سميته حرباً . قال هو مُحَسِّن . ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر » وتوفى محسن صغيراً .

قال أبو أحمد العسكرى : سماه النبى صلى الله عليه وسلم الحسن وكناه « أبا محمد » ولم يكن يعرف هذا الاسم فى الجاهلية .

---

(١) أم الفضل هى لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية . أول امرأة أسلمت بعد خديجة بمكة وهى زوج العباس بن عبد المطلب يقال لها لبابة الكبرى ، أخت ميمونة زوج رسول الله وخالة خالد بن الوليد ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها وكانت من المنجبات ولدت للعباس ستة رجال ، أحدهم الفضل .

صفته رضى الله عنه

كان الحسن أبيض ، مشرباً بحمرة ، أدعج العينين (١) ، سهل الخدين ، كث اللحية ، وكان يخضب بالوسِمة (٢) .

أخلاقه وفضائله رضى الله عنه

كان الحسن حليماً ، كريماً ورعاً ، ذا سكينة ووقار وحشمة ، جواداً ، ممدوحاً ، ميالا للسلم ، يكره الفتن و إراقة الدماء ، ماسمعت منه كلمة فحش قط ، إلا أنه كان كثير الزواج ، مطلاقاً للنساء ، ولا يفارق امرأة إلا وهى تحبه وكان أبوه رضى الله عنه يأخذ عليه كثرة الطلاق ويخشى عواقبها حتى قال : « يأهل الكوفة لاتزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق» فقال رجل من همدان : « والله لنزوجنه فمن رضى أمسك ومن كره طلق » .

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان الحسن يتزوج و يطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل .

وكان الحسن لايشارك فى دعوى ولا يدخل فى مراء ولا يدلى بحجة حتى لايرى قاضياً . كان يقول مايفعل و يفعل مالا يقول تفضلاً وتكرماً . كان لايغفل عن إخوانه ولا يتخصص بشىء دونهم . لايلوم أحداً فيما يقع العذر فى مثله . إذا ابتدأه أمران لايدرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه . وكان قاضيه قاضى أبيه وكذلك كاتبه ولم يكن له حاجب .

كرمه رضى الله عنه

سأله رجل صدقة ولم يكن عنده مايسد به رمقه فاستحى أن يرده . فقال له ، ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر ؟ قال بلى . فما هو ؟ قال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت

(١) الدعج : شدة سواد العين فى شدة بياضها . (٢) الوسمة . نبت يختضب بورقه .

واقطع عليها وماسمع من أحد تعزية . فعزه بقولك له : « الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك » . فذهب الرجل وفعل ماقال له . فذهب عن الخليفة حزنه وأمر له بجائزة وقال له . أكلامك هذا ؟ قال ، لا . بل كلام فلان . قال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى اه .

إن من يلوذ بأهل البيت ، لايرد خائباً بل ينال مايريد وفوق مايريد . فإنهم منبع الكرم والجود والإحسان . قد كان فى استطاعة الحسن أن يعتذر لمن سأله بأن ليس لديه شيء يعطيه ويكون عذره وقتئذ مقبولا . لكنه التمس له طريقة يفرج بها كرب السائل فأشار عليه بماتقدم فنال مانال . فانظر الفرق الشاسع بين بخل الأغنياء الذين يدعون الفاقة والعوز وينتحلون ألف عذر إذا قصدهم فقير أو محتاج قد ضاقت أمامه السبل ولايشفقون على حاله وهم يكنزون المال . وبعضهم يتظاهر بالصلاح والطيبة ولاينفق شيئاً لمحتاج لشدة محبته للمال فهو شديد الحرص شديد التقتير لايبالى عاش الناس أم ماتوا جوعاً . وقد ضرب لنا الحسن رضى الله عنه وغيره من أهل البيت والصالحين أمثالاً فى الكرم والجود ونكران الذات نحتذى حذوها ونقتدى بها . لكنا قد تركناها وتغاضينا عنها . فكره الناس بعضهم بعضاً وامتلأت قلوبهم حقداً وحسداً .

وسمع الحسن رضى الله عنه رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه .

وسأله رجل وشكا إليه حاله ، فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها . فقال : هات الفاضل . فأحضر خمسين ألف درهم . ثم قال : ماذا فعلت بالخمسمائة دينار التى معك ؟ قال عندى ، قال : فأحضرها ، فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه !

وقيل للحسن رضى الله عنه . لأى شيء نراك لاترد سائلا وإن كنت على فاقة ؟ فقال: إنى لله سائل وفيه راغب ، وأنا أستحى أن أكون سائلا وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى

عادة . عوّدنى أن يفيض نعمه علىّ وعوّدته أن أفيض على الناس . فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعنى العادة وأنشد يقول :

إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً ‎ ‎ ‎ بمن فضله فرض علىّ ومعجلُ
ومن فضلُه فضل على كل فاضل ‎ ‎ ‎ وأفضل أيام الفتى حين يسألُ

وخرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم حجاجاً . فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم . فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب ؟ فقالت : نعم . فأناخوا بها وليس عندها إلا شويهة . فقالت احلبوها واشربوا لبنها . ففعلوا ذلك . فقالوا لها : هل من طعام ؟ قالت هذه الشويهة . ماعندى غيرها ، فأنا أقسم عليكم بالله الا ماذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم الحطب فاشووها وكلوا . ففعلوا ذلك . وأقاموا عندها حتى أبردوا . فلما ارتحلوا من عندها ، قالوا لها : ياهذه ! نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين ، فألمى بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى . ثم ارتحلوا . وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال ويحك ! تذبحين شاتنا لقوم لانعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ! !

ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلا يلتقطان البعر . فمرّت العجوز فى بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر ، والحسن رضى الله عنه جالس على باب داره . فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها ، ياأمة الله : هل تعرفيننى ؟ فقالت : لا . فقال أنا أحد ضيوفك يوم كذا ، سنة كذا فى المنزل الفلانى . فقالت : بأبى أنت وأمى ، لست أعرفك . قال : فإن لم تعرفينى ، فأنا أعرفك . فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضى الله عنه . فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها . وقال : بكم وصلها أخى الحسن ؟ فأخبره فأمر لها بمثل ذلك . ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها

الحسن والحسين رضى الله عنهما . فقال : والله لو بدأت بى لا تعبتهما وأمر لهما بألفى شاة وألفى دينار . فرجعت وهى أغنى الناس .

ومن كرمه رضى الله عنه : أنه أعطى شاعراً مالاً كثيراً فقيل له ـ أتعطى شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير مابذلت من مالك ماوقيت به عرضك . وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضى الله عنه . وقيل إن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه . فليم على ذلك فقال : أترانى خفت أن يقول ، لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علىّ رضى الله عنه فيصدّق ويحمل عنه ويبقى مخلداً فى الكتب محفوظاً على ألسنة الرواة ! فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى .

تربيته ومحبة رسول الله له :

لما كان الحسن والحسين رضى الله عنهما ابنى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوهما علىّ بن أبى طالب ابن عم الرسول وربيبه ، فقد تربيا تربية عالية ونشآ على الفضائل فى بيئة من أرقى البيئات وأشرفها وقد سمعا الحديث . وكان عليه الصلاة السلام يحبهما ويرعاهما ويعلمهما .

روى الحسن أحاديث حفظها عن النبى صلى الله عليه وسلم منها فى السنن الأربعة . قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات أقولهن فى الوتر ، الحديث .

ومنها عن أبى الحوراء قلت للحسن ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أخذت تمرة من تمر الصدقة فتركتها فى فمى فنزعها بلعابها ، الحديث .

وفى الحديث : هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

ومن رعاية رسول الله لهما أنه بينما كان يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، الحديث .

وكان رسول الله يصلى فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما فإذا قضى الصلاة وضعهما فى حجره فقال « من أحبنى فليحب هذين » .

ودخل علىّ وفاطمة ومعها الحسن والحسين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعهما فى حجره فقبلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى فجعل عليهم خميصة سوداء (كساء) فقال : « اللهم إليك لا إلى النار » .

وفى البخارى عن أبى بكرة : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن ابن علىّ معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ، قال : فلما ولى لم يهرق فى خلافته محجمة من دم .

ولا شك أن الحسن والحسين ورثا عن جدهما وأبيهما فصاحة اللسان وقوة الجنان وحضور البديهة والكرم والحلم وقد تعلما القرآن والتفسير من علىّ رضى الله عنه وأهل بيته وكبار الصحابة وتلقيا الحديث عنهم وكان علىّ يقول الشعر وينطق بالحكمة وكذلك نشأ والداه رضى الله عنهما

قصة الحسن

واليهودى الفقير

اغتسل الحسن رضى الله عنه وخرج من داره فى بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له فى طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود ، قد أنهكته العلة ، وركبته القلة والذلة ، وشمس الظهيرة قد شوت شواه ، وهو حامل جرة ماء عَلَى قفاه . فاستوقف الحسن رضى الله عنه وقال : يا ابن رسول الله ! سؤال ، قال ، ما هو ؟ قال جدك يقول : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وأنت مؤمن وأنا كافر . فما أرى الدنيا

إلا جنة لك تتنعم بها . وما أراها إلا سجناً عَلَيَّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها .

فلما سمع الحسن كلامه قال له :

« يا هذا ، لو نظرت إلى ما أعد الله لى فى الآخرة لعلمت أنى فى هذه الحالة بالنسبة إلى تلك فى سجن . ولو نظرت إلى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة » .

عُرف اليهود منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدس وابتكار الأكاذيب والترهات وتشكيك المسلمين فى عقائدهم . وقد حاربهم الرسول فى المدينة وأجلاهم عنها لخياناتهم ونقضهم العهود والمواثيق . وقد أسلم بعضهم عن عقيدة صحيحة لكن بقى أكثرهم حانقاً عَلَى المسلمين. وكان رئيس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول وقد مضى ذكره فى سيرة الرسول . وهذا هو عبد الله بن سبأ الذى صار يتنقل فى البلدان ويبث الدعاية ضد عثمان ابن عفان رضى الله عنه ويحض عَلَى الثورة . وفى هذه القصة التى ذكرناها هنا نجد أن هذا اليهودى يعترض عَلَى الحسن لما رآه يرتدى ملابس فاخرة ويذكر له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » فكيف يتنعم الحسن فى الدنيا وهو مؤمن ويشقى اليهودى وهو كافر ؟ ولماذا لا يكون حالهما بالعكس إذا كان حديث رسول الله صادقاً ؟ سؤال يريد به إحراج الحسن من جهة وتشكيكه فى حديث رسول الله من جهة أخرى . لكن الحسن رضى الله عنه كان حاضر البديهة . فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التى يشكو منها إنما هى كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة التى أعدت للكافرين وأن حالة الحسين التى ظنها نعيماً إنما هى كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة التى أعدت للمتقين .

زواج الحسن رضي الله عنه

كان الحسن رضى الله عنه كثير الزواج كثير الطلاق لذلك قال المستشرقون عنه : إنه كان شهوياً ميالاً إلى اللذات والدعة وينفق لذلك أموالا طائلة فسلم الأمر لمعاوية .

وروى المدائنى أن الحسن أحصن فى زمان أبيه تسعين امرأة فقال علىّ رضى الله عنه :

« لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يجنى علينا بذلك عداوة أقوام » وقد كان علىّ غير راض عن كثرة زواج الحسن وطلاقه حتى خطب يوماً ونهى القوم أن يزوجوه لكنه كان يجد من تتزوجه .

قال ابن سيرين : تزوج الحسن امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم ولاريب أن كثرة الزواج والطلاق تحتاج إلى كثرة الانفاق .

قال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا . وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ، ما الذى تنكر منهم ؟ قال يأكلون كثيراً . قال وأنت أيضاً لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون . قال ينكحون كثيراً . قال وأنت أيضاً لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون .

لكن هل الصوفية يجوعون أكثر من غيرهم ؟ إن العمال الذين يشتغلون طول النهار فى أعمال جسمانية مرهقة هم الذين يجوعون أكثر من كل إنسان ومع ذلك لانتصحهم بكثرة الأكل وهم فى العادة يكتفون بالقليل من الطعام ، ثم إن الذى يحفظ عينيه وفرجه لايميل إلى كثرة النكاح بل يكون قانعاً معتدلاً لعدم انشغال عقله وخياله بالمغريات والمحرضات !

وقال الغزالى : ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب ، كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد .

وقال : « من الطباع ماتغلب عليه الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح علىّ رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال إن الحسن بن علىّ كان منكاحاً حتى نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد وربما طلق أربعاً فى وقت واحد واستبدل بهن »

صحيح أن من الطبائع ما تغلب عليه الشهوة لكن ليس بهذه الدرجة . فحالة الحسن رضى الله عنه حالة شاذة لا يقاس عليها وكان مع ذلك تقياً ورعاً متديناً .

وجه الحسن ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة منها عشرة آلاف درهم . ففعل . فلما رجع إليه ، قال : ماذا فعلت ؟ قال : أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول : « متاع قليل من حبيب مفارق » .

فأطرق الحسن وترحم لها . وقال : لو كنت مراجعاً امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها .

ودخل الحسن ذات يوم عَلَى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت : « لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلىّ من أن يكون لى ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » فدخل عليه الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه . وقال : ألا أرسلتَ إلىّ فكنتُ أجيئك ؟ فقال : الحاجة لنا . قال : وما هى ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك . فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال : والله ما عَلَى وجه الأرض أحد يمشى عليها أعز عَلَىّ منك ؛ ولكنك تعلم أن ابنتى بضعة منى يسوءنى ما ساءها ويسرنى ما سرها وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها ، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبى عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك . فسكت الحسن وقام وخرج .

وقال أهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً فى عنقى .

وليس لكثرة زواج الحسن علاقة بتسليم الأمر لمعاوية كما وهم المستشرقون فإن توليه الخلافة كان يُسهل له كثرة الزواج والطلاق ، الإسلام يبيح له أن يتخذ من الرقيق ماشاء . هذا وفى التاريخ ملوك كانوا يتخذون كثيراً من الجوارى والحظيات ومع ذلك لم يكن ذلك سبباً فى تخليهم عن الملك وشاغلاً لهم عن الحكم . بل روى لنا التاريخ أن من ملوك الإفرنج الذين لايبيح لهم دينهم تعدد الزوجات مَنِ اتخذ حظيات لاعداد لهن .

أولاد الحسن رضي الله عنه

أولاد الحسن رضى الله عنه أحد عشر وهم :

(١) زيد (٢) والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية (٣) والقاسم (٤) وأبو بكر (٥) وعبد الله ــ وهؤلاء الخمسة قتلوا مع عمهم الحسين بن علىّ بالطّفّ ، وهى أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

(٦) وعمرو بن الحسن (٧) وعبد الرحمن (٨) والحسين الملقب بالأثرم (٩) ومحمد (١٠) ويعقوب (١١) واسماعيل .

رأى الحسن رضي الله عنه

فى مواقف أبيه

كان الحسن رضى الله عنه يرى أن يخرج أبوه علىّ كرم الله وجهه من المدينة عند ما كان عثمان بن عفان محصوراً حتى إذا قتل عثمان لم يكن بها ، وألا يبايع حتى تأتيه وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ، وأن يجلس فى بيته لما خرج عليه طلحة والزبير حتى يصطلحا . فإن كان الفساد كان على يد غيره . لكن علياً رضى الله عنه خالفه ولم ير رأيه . وقال يرد عليه :

« أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به » .

« وأما قولك لاتبايع حتى تأتى بيعة الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع الأمر » .

« وأما قولك حين خرج طلحة والزبير ، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام . ووالله مازلت مقهوراً مذ وليت منقوضاً لاأصل إلى شىء مما ينبغى » .

« وأما قولك اجلس فى بيتك ، فكيف لى بما قد لزمنى أو من تريدنى . أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ويقال دَبَاب ! دباب ! . ليست هاهنا حتى يُحل عُرقوبها ثم تخرج . وإذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر ويعنينى ، فمن ينظر فيه ؟ فكف عنك أى بنىّ » .

أشار الحسن على والده بهذا الرأى من غير أن يضع نفسه فى مركزه ويقدر شعوره ومركزه ومسئوليته . فإن علياً كان يرى البقاء وعدم الخروج من المدينة عندما كان عثمان محصوراً لئلا يقال إنه ترك الرجل محصوراً وفى أشد حالات الخطر وفر ليخلى نفسه من المسئولية بتخليه عنه وربما قيل أنه بخروجه سهّل على المحاصرين قتله . فوق أن الخروج كان متعذراً عليه كما تقدم فى قوله .

ثم انه لم يلزم بيته وبايع لأنه كان يرى نفسه أحق من غيره بالخلافة لأسباب شتى . منها أنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وربيبه وابن عمه ومن أول الناس إسلاماً ومن أعظم المجاهدين فى سبيل الله واشجاعته وعلمه وفضله ولأنه على العموم كان أفضل الناس بعد مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه . فرجل فى مركزه وقدره لا يمكن أن يترك الأمور ويقعد فى بيته .

ومع أن الحسن رضى الله عنه كان لايرى رأى أبيه فى هذا ، كان يطيع أوامره ، فلما أمره أن يبقى على باب عثمان أثناء الحصار أطاعه . ولما خرجت عائشة رضى الله عنها لمحاربة أبيه لم يتركه بل انضم إليه مع أنه كان يرى أن يلزم أبوه داره بالمدينة ، ولما سمع أبا موسى

يثبط أهل الكوفة بقوله : « إنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب . فكونوا جرثومة من جرائم العرب . فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة (أى انزعوها) واقطعوا الأوتار وآووا المظلوم والمضطهدين حتى يلتئم هذا الأمر » .

رد عليه الحسن قائلا :

« يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء » وهذا يدل على انه يثق بأبيه كل الثقة .

ثم خاطب أهل الكوفة يحثهم على إجابة دعوة أبيه أمير المؤمنين :

« يأيها الناس ! أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه . والله لأن يليه أولو النهى أمثل فى العاجلة وخير فى العقبة . فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم » .

وكان لهذا الكلام أثره فى النفوس . ثم قال :

« أيها الناس ! إنى غاد فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظَهر ومن شاء فليخرج فى الماء » .

فخرج معه تسعة آلاف . وأما أبو موسى فأخرجه الناس من قصره واعتزل بناء على أمر أمير المؤمنين وتهديده .

بيعة الحسن رضي الله عنه

سنة ٤٠ هـ (٦٦١ م)

بعد أن ضرب ابن ملجم علياً رضى الله عنه ، دخل عليه جندب بن عبد الله فسأله فقال يا أمير المؤمنين ، إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن . فقال ما آمركم ولا أنهاكم . أنتم أبصر . فدعا حسناً وحسيناً فقال :

« أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وان بغتكما . ولا تبكيا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف واصنعا للآخرة . وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً. واعملا بما فى كتاب الله . ولا تأخذكما فى الله لومة لائم » .

لم يعين أمير المؤمنين أحداً للخلافة بل ترك الأمر للأمة تولى من تشاء لأنها كما قال أبصر بمن يصلح للخلافة بعده . ثم أوصى ابنيه بتقوى الله عز شأنه إذ هى رأس كل فضيلة وقول الحق وأن يكونا للظالم خصماً (وإن كان الظالم قويا أو سيداً فى قومه) وللمظلوم ناصراً وهذا عين العدل ودليل على قوة النفس والبعد عن الميل والتحيز.

بويع للحسن بالكوفة فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ بعد وفاة أبيه بيومين وقيل إن أول من بايعه ، قيس بن سعد الأنصارى . قال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المُحِلين .

فقال له الحسن رضى الله عنه : « على كتاب الله وسنة نبيه . فإن ذلك يأتى على كل شرط » فبايعه وبايعه الناس وكان الذين بايعوه ٤٠٠٠٠ .

وكتب إليه ابن عباس :

« إن الناس قد ولوك أمرهم بعد علىّ فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك . واستر من الضنين ذنبه بما لا يثلم دينك واستعمل أهل البيوتات ، تستصلح بهم عشائرهم » .

لما بايع أهل العراق الحسن ، بلغه مسير معاوية فى أهل الشام إليه فى جيش قدره ٦٠٠٠٠ فتجهز هو وجيش الذين بايعوا علياً وعدته ٤٠٠٠٠ مقاتل وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية وكان قد نزل (مَسْكِن) فوصل الحسن إلى المدائن وجعل قيس بن سعد الأنصارى على مقدمته فى اثنى عشر ألفاً وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله ابن عباس فجعل عبد الله على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد . فلما نزل الحسن المدائن ، نادى مناد فى العسكر : « ألا إن قيس بن سعد قتل فانفروا » فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطاً كان تحته .

وعدا عليه الجراح بن الأسد ليسير معه فوجأه بالخنجر فى فخذه ليقتله . فقال الحسن : « قتلتم أبى بالأمس ووثبتم علىّ اليوم تريدون قتلى زهداً فى العادلين ورغبة فى القاسطين والله لتعلمن نبأه بعد حين » .

فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً . ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن . وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد . فقال له المختار وهو شاب : هل لك فى الغنى والشرف ؟ قال وماذاك ؟ قال تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية . فقال له عمه : عليك لعنة الله ! أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه ؟ بئس الرجل أنت .

نزول الحسن عن الخلافة لمعاوية

سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) عام الجماعة

تفرق أهل العراق عن الحسن رضى الله عنه ولم يستطع تأليف جيش منهم لمحاربة معاوية . فكتب إليه وذكر له شروطاً . وقال له إن أنت أعطيتنى هذا ، فأنا سامع مطيع وعليك أن تفى لى به وقال لأخيه الحسين وعبد الله بن جعفر إننى قد راسلت معاوية فى الصلح . فقال له الحسين : أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك ! فقال له الحسن : اسكت أنا أعلم بالأمر منك .

وكان رأى الحسين رضى الله عنه أن يحارب الحسن معاوية كما حارب به أبوه علىّ رضى الله عنه . لكن الحسن علم تفرق الأمر عنه وأنه لو حارب معاوية بجيش غير متحد وغير راغب فى القتال لما أحرز النصر فأراد أن يحقن دماء المسلمين ويصالح معاوية .

فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية ، فرح فرحاً شديداً وأمسك الكتاب وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس إلى الحسن وكتب

إليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمتُ أسفلها ماشئت فهو لك . فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده .

فلما سلم الحسن الأمر إلى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التى فى الصحيفة التى ختم عليها معاوية فأبى وقال لقد أعطيتك ما كنت تطلب . فلما اصطلحا ، قام الحسن فى أهل العراق فقال :

« إنه سخىّ بنفسى عنكم ثلاث (أى الأسباب التى جعلتنى أتخلى عنكم وأزهد فيكم وأسلم الأمر إلى معاوية) قتلكم أبى ، وطعنكم إياى (وكان قد طُعن) وانتهابكم متاعى » يعنى أنه قد فقد الثقة بهم .

وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه مافى بيت مال الكوفة وقدره خمسة آلاف ألف أى خمسة ملايين درهم (١٥٠٠٠٠ جنيه فى السنة) وخراج دارا بجِرد من فارس (ولاية) وأن لايشتم علياً . فلم يجبه إلى الكف عن شتم علىّ . فطلب أن لايُشتم وهو يسمع . فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به أيضاً .

ولا ندرى كيف أباح معاوية . شتم علىّ رضى الله عنه ولا سيما بعد أن قُتل . نعم إن علياً حاربه لأنه امتنع عن بيعته وجرد جيشاً لقتاله بحجة المطالبة بدم عثمان ولأنه كان يرى نفسه انه أحق بالخلافة من معاوية . وعلى كل حال لايجوز شتمه رضى الله عنه ، وكان لايليق بمعاوية أن يبيح شتم رجل شريف أسلم صبياً وتربى فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد فى الإسلام جهاداً صادقاً وزوّجه الرسول ابنته فاطمة ، أحب بناته إليه ، وأثنى عليه فى كثير من المواطن ، مع ما عرف عن معاوية من الحلم والعقل .

قال المسعودى : « ثم ارتقى بهم (بأهل الشام) الأمر فى طاعته (طاعة معاوية) إلى أن جعلوا لعن علىّ سنة ينشأ عليها الصغير و يهلك عليها الكبير »

وذكر بعضهم أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأى والعقل منهم : من أبو تراب هذا الذى يلعنه الإمام على المنبر ؟ قال أراه لصاً من لصوص العرب .

أما خراج دارا بجرد ، فإن أهل البصرة منعوا الحسن منه وقالوا هو فيئنا لانعطيه أحداً وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة . ولما عزم الحسن رضى الله عنه على تسليم الأمر إلى معاوية ، خطب الناس فقال :

« أيها الناس ! إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » وكرر ذلك حتى ما بقى فى المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه (نحيبه) .

ولما صالح الحسن معاوية كان أصحاب الحسن يقولون له : ياعار المؤمنين ! فيقول : « العار خير من النار » .

وجاء الحسن شيخ يكنى أباعامر سفيان بن ليلى فقال : السلام عليك يامذل المؤمنين . فقال : لاتقل يا أبا عامر فإنى لم أذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلهم فى طلب الملك .

وسلم الحسن الأمر إلى معاوية فى النصف من شهر جمادى الأولى من سنة ٤١ هـ فبايع الناس معاوية يومئذ وهو ابن ست وستين إلا شهرين .

وبعد أن سلم الحسن الأمر لمعاوية ، بقى قوم يرون أنه كان يجب أن يحارب الحسن معاوية لأنه أحق بالخلافة وكان الحسين يرى هذا الرأى .

خطبة الحسن بالكوفة

بعد الصلح

لما دخل معاوية الكوفة ، قال له عمرو بن العاص ليأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عِيَّه وأنه لايصلح للخلافة . فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم . فقام فحمد الله بديهة ثم قال :

« أيها الناس إن الله هداكم بأولنا . وحَقَنَ دماءكم بآخرنا . وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول . وإن الله عز وجل قال لنبيه : وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » .

فلما قال الحسن ذلك ، قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك . فبنو أمية لم يكونوا مخلصين فى صلحهم وقد خشى معاوية أن يستمر الحسن فى خطبته لئلا يؤثر فى نفوس سامعيه فتحدث فتنة فأمره بالجلوس .

الحسن يصف أهل الكوفة

لحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمه . وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة. فقيل للحسن ماحملك على مافعلت ؟ فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لايثق بهم أحد أبداً إلا غُلب . ليس منهم أحد يوافق آخر فى رأى ولا هوى . مختلفين لا نية لهم فى خير ولا شر . لقد لقى أبى منهم أموراً عظاماً . فليت شعرى لمن يصلحون بعدى . وهى أسرع البلاد خراباً .

هذا ماوصف به الحسن أهل الكوفة وإذا كان فى الاتحاد قوة فنى التدابر والفرقة ضعف . فإذا كان أهل الكوفة هكذا متفرقين فى الرأى لاتجمعهم كلمة فكيف يقاتلون عدوهم وكيف يثق بهم القائد ؟ إن أول شرط فى الجيش أن يكون مطيعاً لأمر القائد وإلا فشل وانهزم .

الحسن يدافع عن أبيه

أمام معاوية

روى الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات ، قال :

اجتمع عند معاوية ، عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان ابن حرب والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علىّ عليه السلام قوارص و بلغه عنهم مثل ذلك . فقالوا : يا أمير المؤمنين : إن الحسن قد أحيا أباه وذكره وقال فصدق وأمر فأطيع وخفقت له النعال والله ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا . قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : ابعث إليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيّره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك . قال معاوية : إنى لا أرى ذلك ولا أفعله . قالوا : عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن . فقال : ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالساً عندى إلا خفت مقامه وعيبه لى . قالوا : ابعث إليه على كل حال. قال : إن بعثت إليه لأنصفنه منكم . فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتى باطله عَلَى حقنا، أو يربى قوله على قولنا ؟ قال معاوية : أما إنى إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله . قالوا : مره بذلك . قال : أما إذا عصيتمونى و بعثتم إليه وأبيتم الا ذلك فلا تمرضوا له فى القول واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقذفوه بحجر تقولون له إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله . فبعث إليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك ، قال : مَن عنده ؟ فسماهم ؛ فقال الحسن عليه السلام : مالهم خرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ؛ ثم قال : يا جارية ، أبغينى ثيابى ؛ اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك من نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين . ثم قام فلما دخل عَلَى معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول بغياً فى أنفسهم

وعلواً . ثم قال : يا أبا محمد : إن هؤلاء بعثوا إليك وعصونى . فقال الحسن عليه السلام : سبحان الله ! الدار دارك ؛ والإذن فيها إليك ، والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما فى أنفسهم إنى لأستحيي لك من الفحش ، وإن كانوا غلبوك عَلَى أمرك إنى لأستحيي لك من الضعف ، فأيهما تقر وأيهما تنكر ؟ أما أنى لو علمت بمكانهم لجئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ومالى أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم إن ولىي الله وهو يتولى الصالحين .

فقال معاوية : يا هذا ، إنى كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملونى عَلَى ذلك مع كراهتى له وأن لك منهم النصف ومنى ، وإنما دعوناك لنقررك أن عثمان قُتل مظلوماً وأن أباك قتله . فاستمع منهم ثم أجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسان . فتكلم عمرو ابن العاص ، فحمد الله وصلى عَلَى رسوله ثم ذكر علياً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال : إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثم بايعه مكرهاً وشارك فى دم عمر وقتل عثمان ظلماً وادعى من الخلافة ما ليس له . ثم ذكر الفتنة يعيّره بها وأضاف إليه مساوى وقال : إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك عَلَى قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء وحرصكم عَلَى الملك وإتيانكم ما لا يحل . ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك وليس عندك عقل ذلك ولا لبه . كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك وتركك أحمق قريش يُسخر منك ويُهزأ بك وذلك لسوء عملك ؛ وإنما دعوناك لنسبك وأباك . فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك فى أيدينا نختار فيك الخصال ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس . فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا فى شىء فاردد علينا فيما قلنا وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط فقال :

يا بنى هاشم ، إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم ، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة .

فكيف ترون الله طالب بدمه وأنزلكم منزلتكم ، والله إن بنى أمية خير لبنى هاشم من بنى هاشم لبنى أمية . وإن معاوية خير لك من نفسك .

ثم تكلم عتبة بن أبى سفيان فقال :

يا حسن ، كان أبوك شر قريش لقريش لسفكه لدمائها وقطعه لأرحامها ، طويل السيف واللسان ، يقتل الحىّ ويعيب الميت ، وإنك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به . وأما رجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادحاً ولا فى ميراثها راجحاً ؛ وإنكم يا بنى هاشم قتلتم عثمان وإن فى الحق أن نقتلك وأخاك به . فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه ، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتم علياً وقال : والله ما أعيبه فى قضية يخون ولا فى حكم يميل ولكنه قتل عثمان . ثم سكتوا .

ثم تكلم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى عَلَى رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتمونى ولكنك شتمتنى فحشاً ألفته وسوء رأى عرفت به وخلقاً سيئاً ثبت عليه وبغياً علينا عداوة منك لمحمد وأهله ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم . أنشدكم الله أيها الرهط . أتعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر . تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية ؟ وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما . بيعة الفتح وبيعة الرضوان . وأنت يا معاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث . وأنشدكم الله . هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم . تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال . وأنشدكم لله . ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعك ومع أبيك راية الشرك

وفى كل ذلك يفتح الله له و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه . ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط وأنشدك الله يا معاوية ، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق . أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالى وعمى وعم الأم ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تكلفنا ... والراقصات به فى مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد ... حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت . وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أكابر أصحابه إلى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث علياً بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله وفعل فى خيبر مثلها .

ثم قال يا معاوية : أظنك لا تعلم أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بنى خزيمة فبعث إليك ونهمك إلى أن تموت وأنتم أيها الرهط نشدتكم الله ، ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن لا تستطيعون ردها . أولها يوم لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرف عنه . والثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر بها المسلمون ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها . والثالثة يوم

أحد حيث وقف تحت الجبـل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أعـلاه وهو ينادى « أعل هبل » مراراً فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرات ولعنه المسلمون . والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وابتهل . والخامسة يوم جاء أبو سفيان فى قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان ولعن القادة والاتباع . وقال ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن . فقيل يا رسول الله ، أفما يرجى الإسلام لأحد منهم . فكيف باللعنة ؟ فقال لا تصيب اللعنة أحداً من الاتباع وأما القادة فلا يفلح منهم أحد . والسادسة يوم الجمل الأحمر . والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثنى عشر رجـلاً منهم أبو سفيان . فهذا لك يا معاوية .

وأما أنت يابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح . فتحا كم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها . ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً . ثم قام أبوك فقال أنا شانى محمد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل . وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله . وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ثم خرجت تريد النجاشى مع أصحاب السفينة لتأتى بجعفر وأصحابه إلى مكة . فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك واشياً جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشى حسداً لما ارتكب من حليلته . ففضحك الله وفضح صاحبك فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام . ثم أنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين بيتاً من الشعر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم إنى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى . اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة . فعليك إذن من الله مالا يحصى من اللعن . وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين . فلما أتاك قتله ، قلت أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها . ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياه .

فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ود . وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا غضبت له مقتولاً . ويحك يا ابن العاص . ألست القائل فى بنى هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشى :

تقول ابنتى أين هذا الرحيل ... وما السير منى بمستنكر
فقلت ذرينى فإنى امرؤ ... أريد النجاشى فى جعفر
لا كويه عنده كية ... أقيم بها نخوة الأصعر
وشانى أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجرى إلى عتبة جاهداً ... ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أنثنى عن بنى هاشم ... وما استطعت فى الغيب والمحضر
فإن قبل العتب منى له ... والا لويت له مشفرى

فهذا جوابك هل سمعته :

وأما أنت يا وليد . فوالله ما ألومك على بغض علىّ وقد جلدك ثمانين فى الخمر وقتل أباك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت الذى سماه الله الفاسق وسمى علياً المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا علىّ فأنا أشجع منك جناناً وأطول لساناً . فقال لك علىّ اسكت ياوليد فأنا مؤمن وأنت فاسق . فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله (أفمَنْ كان مؤمناً كمَن كانَ فاسِقاً لا يستوون) ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً (إن جاءَكُمْ فاسِقٌ بنبأٍ فتبيّنُوا) ويحك يا وليد مهما نسيت قريش فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :

أنزل الله والكتاب عزيز ... فى علىّ وفى الوليد قرانا
فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقاً ... وعلىّ مبوأ إيمانا
ليس من كان مؤمناً عمرك الله ... كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعلىّ إلى الحساب عيانا
فعلىّ يجزى بذاك جناناً ... ووليد يجزى بذاك هوانا
رب جد لعقبة بن أبان ... لابس فى بلادنا تبانا

وما أنت وقريش ، إنما أنت علج من أهل صفورية[1] وأقسم بالله لأنت أكبر فى الميلاد ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندى خير يرجى ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك إلا سواء ، وما يضر عليًا لو سببته عَلَى رؤوس الأشهاد . وأما وعيدك إياى بالقتل ؛ فهلا قتلت اللحيانى إذ وجدته عَلَى فراشك؟ أما تستحى من قول نصر بن حجاج فيك :

يا للرجال وحادث الأزمان ولسبة تخزى أبا سفيان

نبئت عتبة خانه فى عرسه جنس لئيم الأصل من لحيان

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكره لفحشه ، فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك ، وكيف ألومك عَلَى بغض علىّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشارك حمزة فى قتل جدك عتبة وأوحدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد .

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه ، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكى فإنى طائرة عنك فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعة علىّ فأعلم بك طائرة عنى ، والله ما نشعر بعداوتك إيانا ولا اغتممنا إذ علمنا بها ، ولا يشق علينا كلامك وإن حد الله فى الزنا لثابت عليك . ولقد درأ عمر عنك حقاً ، الله سائله عنه . ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ لا بأس بذلك يامغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان . وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه فانصرف . فتعلق عمرو بن العاص بثوبه وقال : ياأمير المؤمنين ! قد شهدت قوله فىّ وقذفه أمى بالزنا وأنا مطالب له بحد القذف . فقال معاوية : خل عنه لاجزاك الله خيراً . فتركه . فقال معاوية قد أنبأتكم انه ممن لانطق عارضته ونهيتكم

---

(١) من نواحى الأردن بالشام ، وهى قرب طبرية

أن تسبوه فعصيتمونى . والله ماقام حتى أظلم علىّ البيت . قوموا عنى فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأى الناصح المشفق والله المستعان اه .

هذه محاورة من أعجب ماقرأنا من المحاورات انتصر فيها الحسن انتصاراً مبيناً على زعماء بنى أمية فتركهم لايدرون ماذا يقولون ، تركهم باهتين حائرين مخذولين . وقد دل الحسن برده عليهم أنه خطيب مفوه لايتلجلج ولا يتلعثم ولايخشى فى الحق لومة لائم . ولايرهب التهديد والوعيد . ولايبالى بسطوة الحاكم بل إن رده عليهم بهذه القوة ، أعظم برهان على حدة ذهنه وحضور بديهته وقوة عارضته وشجاعته الفائقة . إن من يتكلم بهذا الكلام أمام معاوية ، لايرمى بالجبن والكسل وحب الدعة كما ادعت دائرة المعارف الإسلامية فى ترجمة الحسن ولا يقال عنه أنه ترك الخلافة لمعاوية حباً فى الدعة ولاقبله على الشهوات . تلك تهم اعتدنا أن نقرأها فى الصحف التى لوثتها جماعة من المستشرقين الذين دأبوا على الطعن فى أبطال المسلمين تشويهاً لفضائلهم وحطاً من مقامهم فى عيون من يعظمونهم ويحترمونهم .

إن بنى أمية كانت تحقد عَلَى علىّ وأبنائه وقد أعماهم البغض فصاروا يسبونهم فى كل مناسبة . فإن اعوزتهم الظروف والمناسبات احتالوا عليها .

اجتمع هؤلاء النفر عندمعاوية ، فأرادوا أن يتفكهوا بالطعن على الحسن فاستحضروه ليسبوه ويهددوه مع إنه سالمهم وسلم الأمر لمعاوية تجنباً لإراقة الدماء واعتكف بالمدينة تاركاً لهم الأمر يفعلون مايشاءون .

ومع هذا لم يخلص من ألسنتهم ومعاكساتهم . وكان عمرو بن العاص يحرض معاوية على التحكك به ومعاوية ينهاه علماً منه بقوة عارضة الحسن .

فلما حضر ، أخذ عمرو يعيب علياً رضى الله عنه وصرّح أنهم دعوه ليسبوه ويسبوا أباه . ثم تكلم الوليد وعتبة والمغيرة كل بدوره والحسن يسمع شتمهم وتهديدهم إياه بالقتل وهو رابط الجأش مستجمع لحواسه . فلما أفرغوا ما فى جعبتهم ، دافع عن أبيه فأجمل مناقبه وذكر ما كان من إسلامه وحسن بلائه فى سبيل نشر الدين وما كان من عداء أبى سفيان

ومعاوية للاسلام . وكان الحسن عالماً بالتاريخ والوقائع ، عارفاً بسير الرجال ، حافظاً للأشعار. ثم خاطب عمرو بن العاص وذكر نسبه ومسيره إلى الحبشة للايقاع بجعفر والمسلمين المهاجرين ومحاربته لرسول الله وقال للوليد انه جلد فى الخمر وأن علياً هو الذى جلده وكان ذلك فى خلافة عثمان الخ الخ .

قال ذلك كله بصراحة متناهية وجرأة عجيبة وقد استحقوا ماسمعوا منه فإن الشر لايدفعه إلا الشر . فغضب معاوية عليهم وأمرهم بالخروج وقد كان وكانوا فى غنى عن ذلك كله . وشهد معاوية للحسن بأنه ممن لاتطاق عارضته . ولا غرو فى ذلك فإن جده رسول الله وأمه فاطمة الزهراء وأباه علىّ الذى بهر الأعداء بشجاعته وفاق الفصحاء بفصاحته وبز الحكماء بحكمه .

تدبير معاوية

لتولية ابنه يزيد الخلافة

اشترط الحسن على معاوية أن تكون له الخلافة بعده وكان معاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم أن يعزله ويولى سعيد بن العاص . فلما بلغ ذلك المغيرة ، قدم الشام على معاوية فقال :(1)

« يأمير المؤمنين قد علمت مالقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف وفى عنقك الموت . وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس فى مثل ماوقعوا فيه بعد قتل عثمان . فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه . واجعل ذلك يزيد ابنك » .

قال ذلك المغيرة بعد أن علم أن مركزه مهدد وبعد أن بلغه أن معاوية يريد عزله . فأراد أن يتزلف إلى معاوية بترشيح ابنه يزيد للخلافة لأن ذلك يرضيه ويرضى يزيد .

---

(1) راجع الإمامة والسياسة .

ففكر معاوية فى ذلك ثم بدا له أن يأخذ برأى المغيرة . فلما اجتمعت وفود الأمصار بدمشق وفيهم الأحنف بن قيس ، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : « إذا جلستُ على المنبر وفرغتُ من بعض موعظتى وكلامى ، فاستأذنى للقيام . فإذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه . ثم ادعنى إلى توليته من بعدى فإنى رأيت وأجمعت على توليته . فاسأل الله فى ذلك وفى غيره الخيرة وحسن القضاء » فمعاوية يملى إرادته على الضحاك .

ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن مسعدة الفزارى وثور بن معن السلمى وعبد الله بن عصام الأشعرى . فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه إلى يزيد .

فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر فى المجلس قد قعدوا للكلام ، قام الضحاك بن قيس ، فاستأذن فى الكلام فأذن له ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به . إنا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا فى عاجل مانرجو به الجماعة من الألفة ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع . والله يقول (كل يوم هو فى شأن) ولسنا ندرى ما يختلف به العصران . وأنت ياأمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه . نسأل الله تعالى بك المتاع . وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة فى المسلمين والشبه بأمير المؤمنين فى عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا إلى الرضا به فى أمورنا والقنوع به فى الولاية علينا . فليوله أمير المؤمنين أكرمه الله ، عهده . وليجعله لنا ملجأ ومفزعاً بعده نأوى إليه إن كان كون . فإنه ليس أحد أحق بها منه . فاعزم على ذلك عزم الله لك فى رشدك ووفقك فى أمورنا » .

فالضحاك أطاع أمر معاوية ومدح يزيد وجعله كمعاوية . أما قوله : فإنه ليس أحد أحق بها منه ، فهذا كذب صريح ونفاق واضح[١] .

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا فى زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدودبت علينا سيساؤه واقطوطبت علينا أدواؤه ، وأناخت علينا أنباؤه ، ونحن نشير عليك بالرشاد ، وندعوك إلى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا نظراً ، وأثبتنا بصراً ، ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته ، و بلونا علانيته ، ورضينا ولايته ، وزادنا بذلك انبساطاً و به اغتباطاً ، مع ما منحه الله من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة فى المسلمين . فاعزم على ذلك ولا تضق به ذرعاً ، فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد ويأمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الأجر ويحسن به الذخر » ثم جلس .

فقام ثور بن معن السلمى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا فى زمان صاحبه شاغب ، وظله ذاهب ، مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة . وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع . ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً وأبذلنا عرفاً وقد دعانا إلى الرضا به والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ما قد عَرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه . فاجعله لنا بعدك خلفاً فإنه أوسعنا كنفاً وأقدمنا سلفاً . وهو رتق لما فتق ، وزمام لما شعث ، ونكال لمن فارق ونافق ، وسلم لمن واظب وحافظ للحق . أسأل الله لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن فى البلاد وصلاح أمر جميع البلاد » .

ثم قام عبد الله بن عصام ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إنا قد أصبحنا فى دنيا منقضية ، وأهواء منجذمة

---

(١) كان الضحاك على شرطة معاوية وحارب فى جيشه واستعمله على الكوفة بعد زياد سنة ٥٣ هـ ولما توفى معاوية صلى الضحاك عليه وضبط البلد حتى قدم يزيد فكان مع يزيد وابنه معاوية إلى أن ماتا .

نخاف حدها ، وننتظر جدها ، شديد منحدرها ، كثير وعرها ، شامخة مراقيها ، ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها . فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد ، لا يخلد فى الدنيا أحد ، ولا يبقى لنا أمد . وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك ، ومأخوذ بولايتك ، وأنت أنظر للجماعة ، وأعلا عينا بحسن الرأى لأهل الطاعة ، وقد هديت ليزيد فى أكمل الأمور وأفضلها رأيا وأجمعها رضاً . فقطع بيزيد قالة الكلام ، ونخوة المبطل ، وشعث المنافق ، واكبت به الباذخ المعادى فإن ذلك ألمّ للشعث وأسهل للوعث . فاعزم عَلَى ذلك ولا تترامى بك الظنون » .

ثم قام عبد الله بن سعدة الفزارى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إن الله قد آثرك بخلافته ، واختصك بكرامته ، وجعلك عصمة لأوليائه ، وذا نكاية لأعدائه ، فأصبحت بأنعمه جذلاً ، ولنا حملك محتملاً ، يكشف الله تعالى بك العمى ، ويهدى بك العدا . ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة ، وأحقهم بالخلافة ، بعدك قد ساس الأمور ، وأحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ، ولا بالكبير السفيه ، قد احتجن المكارم ، وارتجى لحمل العظائم ، وأشد الناس فى العد نكاية ، وأحسنهم صنعاً فى الولاية . وأنت أغنى بأمرك ، وأحفظ لوصيتك ، وأحرز لنفسك . أسأل الله لأمير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير » .

فقال معاوية :

« أوكلكم قد أجمع عَلَى هذا رأيه ؟ »

فقالوا : كلنا قد أجمع رأيه عَلَى ما ذكرنا .

قال : فأين الأحنف ؟ فأجابه . قال : ألا تتكلم ؟

فقام الأحنف ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١) :

---

(١) أدرك الأحنف النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، كان أحد الحكماء الدهاة العقلاء ، وكان ممن اعتزل الحرب بين علىّ وعائشة رضى الله عنهما بالجمل وشهد صفين مع علىّ .

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسكوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مُؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، لا يغررك من يشر عليك ولا ينظر لك ؛ وأنت أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة مع أن أهل الحجاز أوهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيًّا » .

فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن أهل النفاق من أهل العراق ، مروءتهم فى أنفسهم الشقاق ، وألفتهم فى دينهم الفراق ، يرون الحق على أهوائهم ، كما ينظرون بأقفائهم ، اختالوا جهلاً وبطراً لا يرقبون من الله راقبة ؛ ولا يخافون وبال عاقبة ! اتخذوا إبليس لهم رباً ؛ واتخذهم إبليس حزباً ! فمن يقاربوه لا يسروه ، ومن يفارقوه لا يضروه . فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين فى نحورهم ، وكلامهم فى صدورهم ! ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف به معاوية فى أرضه ، هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة . فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة لإمامكم وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم العاجل وترجوا من الآجل » .

ثم قام الأحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« يا أمير المؤمنين . إنا قد فررنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زنداً وأشدها عقداً وأوفاها عهداً . وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً . ولكنك أعطيت الحسن بن علىّ من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك . فإن تف ، فأنت أهل الوفاء وإن تغدر تعلم . والله إن وراء الحسن خيولاً جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً . إن تدن له شبراً من غدر ، تجد وراءه باعاً من نصر . وأنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما وما نزل عليهم فى ذلك غير من السماء . وأن السيوف التى شهروها عليك مع علىّ يوم صفين لعلى عواتقهم . والقلوب التى

أبغضوك بها لبين جوانحهم . وأيم الله أن الحسن لأحب إلى أهل العراق من علىّ »

ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين . أن رأى الناس مختلف . وكثير منهم منحرف . لايدعون أحداً إلى رشاد . ولا يجيبون داعياً إلى سداد . مجانبون لرأى الخلفاء . مخالفون لهم فى السنة والقضاء . وقد وقفت ليزيد فى أحسن القضية وأرضاها لحمل الرعية . فإذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام . فإن يزيد أعظمنا حلماً وعلماً . وأوسعنا كنفاً . وخيرنا سلفاً . قد أحكمته التجارب وقصدت به سبل المذاهب . فلا يصرفنك عن بيعته صارف . ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص . لسانه ملتو وفى صدره داء دوىّ . إن قال فشر قائل . وإن سكت فداء غائل . قد عرفت من أهم أولئك وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق . فأجل ببيعته عنا الغمة وأجمع به شمل الأمة . فلا تخدعنه إذا هديت له ولا تنبش عنه إذا وقفت له . فإن ذلك الرأى لنا . ولك الحق علينا وعليك . أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه » .

فقام معاوية فقال :

أيها الناس أن لإبليس من الناس إخواناً وخلاناً . بهم يستعد وإياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق . إن رجوا طمعاً أوجفوا . وإن استغنى عنهم أرجفوا . ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشققون لها حطب النفاق . عيابون مرتابون . أن لووا عروة أمر ، حنقوا . وإن دعوا إلى غىّ أسرفوا . وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحل بهم قوارع أمر جليل . تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع فأولى لأولئك ثم أولى فإنا قد قدمنا وأنذرنا أن أغنى التقدم شيئاً أو نفع النذر » ،

فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ـ وترك المغيرة . ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة . ثم قام أبو حنيف فقال :

« ياأمير المؤمنين إنا لا نطيق ألسنة مضر وخطبها . أنت ياأمير المؤمنين فإن هلكت فيزيد بعدك . فمن أبى فهذا . وسل سيفه . فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم .

ثم قام الأحنف بن قيس فقال :

« أنت أعلمنا بليله ونهاره و بسره وعلانيته . فإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة . فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب . واعلم أنه لا حجة لك عند الله أن قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما و إلى ما هما . و إنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا ربنا و إليك المصير » .

***

هذا ما دبره معاوية ليولى ابنه يزيد الخلافة بعده وفى ذلك نقض لما شرطه عليه الحسن . وقد سمع معاوية الخطباء الذى تكلموا فمدحوا يزيد وأثنوا عليه ثناء عاطراً وطلبوا توليته لاستحقاقه . وقد أجمعوا على ذلك بناء على إيعاز سابق ولم يخالفهم غير الأحنف ابن قيس وكان كما ذكرنا فى الهامش من دهاة العرب وعقلائهم . فإنه دعا معاوية إلى الوفاء للحسن وصرح له أن وراء الحسن خيولاً وجياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً . أى أن له شيعة قوية تسنده وتحارب من أجله . وفى هذا تهديد ووعيد . لم يرد عليه معاوية حين قال له : واعلم أنه لا حجة لك عند الله أن قدّمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما . لم يرد عليه لأنه لم يشأ إثارة هذا الموضوع فى مجتمع حافل فيه من يقدر علياً وأولاده ومن يفضل الحسن على يزيد . فأعرض معاوية عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة ٥٠ هـ فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله ، أرسل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب و إلى عبد الله بن عمر و إلى عبد الله بن الزبير وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر . فلما جلسوا تكلم معاوية فقال :

« الحمد لله الذى أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه . نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فإنى قد كبر سنى ووهن عظمى وقرب أجلى وأوشكت أن أدعى فأجيب . وقد رأيت أن أستخلف عليكم

بعدی یزید ورأیته لکم رضا وأنتم عبادلة قریش وخیارها وأبناء خیارها ولم یمنعنی أن أحضر حسناً وحسیناً إلا أنهما أولاد أبیهما علی حسن رأیی فیهما وشدید محبتی لهما . فردوا علی أمیر المؤمنین خیراً رحمکم الله » .

رد عبد الله بن عباس

علی معاویة

فتکلم عبد الله بن عباس فقال :

« الحمد لله الذی ألهمنا أن نحمده واستوجب علینا الشکر علی آلائه وحسن بلائه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریك له وأن محمداً عبده ورسوله وصلی الله علی محمد وآل محمد . أما بعد فإنك قد تکلمت فأنصتنا وقلت فسمعنا . وأن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمداً صلی الله علیه وسلم لرسالته واختاره لوحیه وشرفه علی خلقه . فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالأمر أخصهم به . و إنما علی الأمة التسلیم لنبیها إذ اختاره الله لها . فإنه إنما اختار محمداً بعلمه وهو العلیم الخبیر والله لی ولکم » .

أشار ابن عباس إلی أن أقارب النبی هم أولی بالأمر ولم یخص الحسن والحسین .

رد عبد الله بن جعفر

« الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده علی الهامنا حمده ونرغب إلیه فی تأدیة حقه . وأشهد أن لا إله إلا هو واحداً صمداً . لم یتخذ صاحبة ولا ولداً . وأن محمداً عبده ورسوله صلی الله علیه وسلم . أما بعد فإن هذه الخلافة إن أخذ فیها بالقرآن فأولو الأرحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله . وإن أخذ فیها بسنة رسول الله فأولو رسول الله . وإن أخذ

فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول . وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه ولأُطيع الرحمن وعُصى الشيطان . وما اختلف فى الأمة سيفان . فاتق الله يا معاوية فإنك قد صرت راعياً ونحن رعية . فانظر لرعيتك فإنك مسئول عنها غداً . وأما ما ذكرت من ابنى عمى وتركك أن تحضرهما ، فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما وأنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم . فقل أو دع . واستغفر الله لى ولكم » .

صرّح عبد الله بن جعفر أن أولى الأرحام أولى و بعبارة أخرى أولى رسول الله وقال إنه كان ينبغى لمعاوية أن يستدعى الحسن والحسين .

رد عبد الله بن الزبير

« الحمد لله الذى عرفنا دينه وأكرمنا برسوله وأحمده على ما أبلى وأولى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فإن هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية . وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء . فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما . فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا و بين نفسك » .

رد عبد الله بن عمر

« الحمد لله الذى أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم . أما بعد فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسراوية يتوارثها الأبناء عن الآباء . ولو كان

كذلك ، كنتُ القائم بها بعد أبي . فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان أتقى وأرضى . فإن كنت تريد الفتيان من قريش ، فلعمري أن يزيد من فتيانها واعلم أنه لا يغني عنك من الله شيئا » .

تعقيب معاوية

على كلام العبادلة

« قد قلت وقلتم وأنه قد ذهبت الأباء و بقيت الأبناء . فابني أحب إليّ من أبنائهم مع أن ابني أن قاولتموه ، وجد مقالاً . وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله . فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولي الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة . غير أنهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة . وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها . فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأى إن شاء الله » .

ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم ثم انصرف راجعاً إلى الشام وسكت عن البيعة فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين .

وفاة الحسن رضي الله عنه

سنة ٤٩ هـ (٦٦٩ م)

توفي الحسن رضى الله عنه بالمدينة سنة ٤٩ هجرية بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين .

ودفن بالبقيع وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميراً بالمدينة . قدمه الحسين للصلاة عَلَى أخيه رضى الله عنهما . وقال لولا أنها سنة ماقدمتك .

وقد سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية (١) إليها ومابذل لها فى ذلك وكان لها ضرائر غير أن هذا غير ثابت و بقى مريضاً أربعين يوما .

ودخل الحسين عَلَى الحسن رضى الله عنهما فى مرضه فقال ياأخى : إنى سقيت السم ثلاث مرات . فلم أسق مثل هذه المرة إنى لأضع كبدى . فقال الحسين : من سقاك ياأخى ؟ قال : ماسؤالك عن هذ ؟ أتريد أن تقاتلهم . كلهم إلى الله .

ولما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه :

« ياأخى إن أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه . فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر . فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوّف إليها أيضاً (أى تشوّف إلى الخلافة) فصرفت عنه إلى عمر . فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم . فلم يشك أنها لاتعدوه . فصرفت عنه إلى عثمان . فلما هلك عثمان ، بويع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها . فما صفا له شىء منها . وانى والله ماأرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة . فلا أعرفنك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك . وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : نعم . وإنى لاأدرى لعلها كان ذلك منها حياء . فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها . فإن طابت نفسها فادفنى فى بيتها . وما أظن إلا القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك . فإن فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد » .

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها فقالت نعم وكرامة . فبلغ ذلك مروان . فقال : كذب وكذبت . والله لايدفن هناك أبداً . منعوا عثمان من دفنه فى المقبرة

---

(١) وقيل إن الذى أغرى جعدة على دس السم هو يزيد بن معاوية ليضمن لنفسه الخلافة بعد أبيه وبذل لها مالا ووعدها بالزواج لكنه لم يف .

ويريدون دفن الحسن فى بيت عائشة . فبلغ ذلك الحسين فدخل هو ومن معه فى السلاح . فبلغ ذلك مروان فتسلح أيضاً : فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : والله ماهو إلا ظلم يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنه لابن رسول الله . ثم انطلق إلى الحسين وناشده الله . وقال له : أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردونى إلى مقبرة المسلمين ؟ فلم يزل به حتى فعل وحمله إلى البقيع فلم يشهده يومئذ من بنى أمية إلا سعيد بن العاص وكان يومئذ أميراً عَلَى المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة وخالد بن الوليد بن عقبة ناشد بنى أمية أن يخلوه يشاهد الجنازة فتركوه فشهد دفنه . ودفن إلى جنب جدته فاطمة بنت أسد ، والعجب أن لايحتفل بنو أمية بدفن الحسن رضى الله عنه مع أنه صالح معاوية وحقن دماء المسلمين ولم يرق دماً فكان مسالماً كارهاً للقتال ومع ذلك احتفل المسلمون بدفنه احتفالا مهيباً وكثر الزحام واشتد . قال ثعلبة بن أبى مالك :

شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع . فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه إبرة ما وقعت إلا عَلَى رأس إنسان (وذلك لشدة الزحام) وأقام نساء بنى هاشم عليه النواح شهراً ولبسوا الحداد سنة .

وكان عمره رضى الله عنه حين مات ٤٧ سنة وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام .

إن جميع المصادر العربية تقول إن الحسن مات مسموماً ، لكن دائرة المعارف الإسلامية التى ألفها جماعة من المستشرقين زعمت أنه مات بمرض السل لإفراطه فى الشهوة فهو عَلَى ذلك ليس بسيد الشهداء وقالت إنه مات فى الخامسة والأربعين من عمره وقال النجاشى الشاعر يرثيه :

جعدة بكيه ولاتسأمى ... بعد بكاء المعول الثاكل

لم يسبل الستر عَلَى مثله ... فى الأرض من حاف ومن ناعل

كان إذا شبت له ناره ... يرفعها بالسند الغاتل

كيما يراها بائس مرمل ... وفرد قوم ليس بالآهل

يغلى بنيء اللحـــم حتى إذا أنضجه لم يغل كل آ كل
أعنى الذى أسلمنا هلـــكه للزمن المستخرج المـــاحل

وقال آخر :

تأس فـكم لك من سلوة تفرّج عنك غليل الحزن
بموت النبىّ وقتل الوصىّ وقتل الحسين وسم الحسن

هذا وقد صرح الحسن لأخيه الحسين أنه سقى السم ثلاث مرات ، وإن لم يصرح له بمن سقاه . قال ابن خلدون : وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك .

وقع نعى الحسن رضي الله عنه
عَلَى معاوية

وفد عبد الله بن عباس عَلَى معاوية . قل فوالله إنى لفى المسجد إذ كبر معاوية فى الخضراء . فـكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء . فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها فقالت : سرّك الله يا أمير المؤمنين . ماهذا الذى بلغك فسررت به ؟ قال موت الحسن بن علىّ . فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم بكت وقالت : مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال معاوية : نعما والله ما فعلت إنه كان كذلك أهلاً أن يبكى عليه . ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل عَلَى معاوية فقال معاوية علمت يا ابن عباس أن الحسن توفى . قال : ألذلك كبّرت ؟ قال : نعم . قال : والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادّة حفرتك . ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين . ثم بسيد الأوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة . فقال : ويحك يا ابن عباس ! ما كلمتك إلا وجدتك معداً .

بيـــعة معاوية

لابنه يزيد

لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم ، عامله على المدينة وأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ليبايعوا ليزيد ، فكتب إليه مروان أن قريشاً أبت مبايعته ، فعزله معاوية وولى مكانه سعيد بن العاص ، فغضب مروان ودخل عليه وقال له فيما قال : « أقم الأمر يا ابن سفيان ، واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظراً ، وأن لهم على مناوأتك وزراً » .

أما سعيد بن العاص ، فدعا أهل المدينة إلى البيعة ليزيد وأخذهم بالعزم والشدة كما أمره معاوية . فأبطأ عنه الناس ولم يجبه أحد من بنى هاشم ، وجاهر عبد الله بن الزبير بالعداوة ، فأرسل معاوية كتباً إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير وإلى عبد الله ابن جعفر وإلى الحسين . وأمر سعيد أن يوصلها إليهم وأن لا يشتد على الحسين وأن يحذر ابن الزبير . لكنهم ردوا عليه مظهرين كراهيتهم لبيعة يزيد ، وظل الأمر كذلك إلى أن خرج معاوية حاجاً ثم عاد إلى المدينة ففاوضهم لكنه لم ينجح فى استمالتهم وأخيراً رجع إلى الشام .

أما يزيد ، فكان الشائع عنه أنه يشرب الخمر ، ويلهو بالقيان (المغنيات) ويستهتر بالفواحش ومن شعره :

جاءت بوجه كأن البدر بُرْقُعُهُ ... نوراً على مائس كالغصن معتدلِ
إحدى يديها تعاطينى مشعشعة ... كخدها عصفرته صِبغةُ الخَجلِ
ثم استبدت وقالت وهى عالمـــة ... بما تقول وشمسُ الراح لم تَفِلِ
لا ترحلن فما أبقيتَ من جَلَدى ... ما أستطيع به توديع مُرْتحلِ
ولا من النوم ما ألقى الخيالَ به ... ولا من الدمع ما أبكى على الطللِ

وذكره الحسين أمام معاوية فقال :

« وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهى تجده ناصراً » .

هذه نشأة أولاد الطبقة الارستقراطية عادة ، فهم لا يعبأون بالتعاليم الدينية ولا يعرفون الحلال من الحرام وإنما همهم التعلق بأنواع المسليات والملاهى والصيد والقنص والرقص والغناء وشرب الخمور . فتربية يزيد كانت خلاف تربية أولاد الصحابة إذ كانت تربيتهم دينية محضة . وقد استطاع معاوية بسلطته أن يأخذ البيعة لابنه من أهل الشام لكنه لم يستطع أن يؤثر فى أهل المدينة ، فلما مات جنح يزيد إلى استعمال القوة فى حملهم على مبايعته وقال : « والله لأطأنهم وطأة آتى منها على أنفسهم » .

رثاء أخيه

محمد بن الحنفية

لما دفن الحسن رضى الله عنه ، وقف محمد بن الحنفية أخوه على قبره فقال :

« لئن عزت حياتك ! لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الإيمان وربيت فى حجر الإسلام ، فطبت حياً وميتاً وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ! رحمك الله أبا محمد » .

وفى رواية أن محمداً وقف على قبره وقال :

« أبا محمد ، لئن طابت حياتك ، لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وأنت خامس أهل الكساء ، وابن محمد المصطفى ، وابن عليّ المرتضى ، وابن فاطمة الزهراء ، وابن شجرة طوبى » .

ثم أنشد يقول :

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب

رثاء

رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث

وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب على قبره فقال :

« إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد حملت إلى هذا القبر وليًا من أولياء الله ليبشر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحور العين بلقائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجى والدين فقده ! رحمة الله عليه وعنده تحتسب المصيبة به »

من خطبه وكلامه ﷺ

ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته أنه قال :

« نحن حزب الله المفلحون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شىء لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه والمعوّل عليه فى كل شىء لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه . فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة . إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة . فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول . ولو ردّوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدوّ مبين . فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : لاغالب لكم اليوم من الناس و إنى جار لكم . فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون . فتلفون للرماح إزراً وللسيوف جزراً وللعمد خطأ وللسهام غرضاً ثم لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً والله أعلم » .

وكان علىّ رضى الله عنه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً و بيتاً . فوالذى بعث محمداً بالحق لاينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله . ولايكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة . ولتعلمن نبأه بعد حين » .

خطبة الحسن بعد وفاة أبيه

لما توفى على رضى الله عنه خرج الحسن إلى المسجد الأعظم فاجتمع الناس إليه فبايعوه ثم خطب الناس فقال :

« أفعلتموها . قتلتم أمير المؤمنين . أما والله لقد قُتل فى الليلة التى نزل فيها القرآن ورُفع فيها الكتاب وجف القلم . وفى الليلة التى قبض فيها موسى بن عمران وعُرج فيها بعيسى » .

ولما رأى من أصحابه فشلاً وتواكلاً ، قام فيهم خطيباً وقال :

« أيها الناس إنى قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة . وإنى ناظر لكم كنظرى لنفسى . وأرى رأياً . فلا تردوا عَلَىّ رأيى . إن الذى تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة . وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال . ولست أرى أن أحملكم عَلَى ماتكرهون » .

وقال رضى الله عنه :

حسن السؤال نصف العلم . وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه . وسئل عن الصمت . فقال : هو ستر العى وزين العرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمن .

وقيل له : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلىّ من الغنى ، والسقم أحب إلىّ من الصحة . فقال : رحمه الله أبا ذر . أما أنا فأقول : من اتكل عَلَى حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها لله له .

وكان الحسن رضى الله عنه يقول :

« يا ابن آدم : عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً . وصاحب الناس بمثل ماتحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً » .

وقيل سأله أبوه يوماً قائلا يابنىّ ما السداد ؟ فقال : دفع المنكر بالمعروف . قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة . قال : فما السماح ؟ قال : البذل فى العسر واليسر . قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء ماله وبذل عرضه . قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم

الله لها و إن قلّ . قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس . قال : فما المنعة ؟ قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس . قال : فما الذل ؟ قال الفزع عند الصدمة . قال : فما الكلفة ؟ قال كلامك فيا لا يعنيك . قال : فما الجد ؟ قال : أن تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم . قال : فما السؤدد ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح . قال فما السفه ؟ قال : اتباع الدناءة ومحبة الغواية . قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد وطاعة المفسد .

وكان يقول : « لا أدب لمن لا عقل له ولا مودة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له . ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، و بالعقل تُدرك الداران جميعاً .

و يقول : هلاك الناس فى ثلاث : فى الكِبْرِ والحرص والحسد . فالكبر هلاك الدين و به لعن إبليس ، والحرص عدو النفس و به أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

و يقول لبنيه و بنى أخيه :

تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم .

ومن شعره قوله :

اغنَ عن المخلوق بالخالق — تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله — فليس غير الله بالرازق
من ظنّ أنّ الناس يغنونه — فليس بالرحمن بالواثق
من ظنّ أن الرزق من كسبه — زلت به النعلان من حالق

الحسين بن علي رضي الله عنه

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، يكنى أبا عبد الله سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته .

أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد . وقال الواقدي : علقت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة .

وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه (ذبح شاة) كما عق عن أخيه وحنكه بريقه ، وأذّن في أذنه ، وتفل في فمه ، ودعا له وسماه حسيناً ، وقال لأمه أن تفعل به ما فعلت بأخيه الحسن ، ولقب بألقاب أشهرها : الزكيّ ثم الرشيد والطيب والوفيّ والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط .

وكانت أمه فاطمة بنت رسول الله ترقّص الحسين فتقول :

إن بنيّ شبه النبيّ ليس شبيهاً بعليّ

وكان الحسن رضي الله عنه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به صلى الله عليه وسلم وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، واسع الجبين ، كث اللحية ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، رحب الكفين والقدمين ، رَجِل الشعر ، متماسك البدن ، أبيض ، مشرب بحمرة ، حسن الصوت ، وكان في صوته غُنّة حنة وكان يخضب بالوسمة .

أما خلقه رضي الله عنه ، فقد كان فاضلاً كثير الصوم والصلاة . ويقال إنه حج

خمساً وعشرين حجة ماشياً فيكون قد حج وهو بالمدينة قبل دخوله العراق لأنه لم يحج من العراق . وكان كريماً كثير الصدقة وأفعال الخير جميعها .

أولاد الحسين

رضى الله عنه

(١) علىّ الأكبر .

(٢) « الأوسط .

(٣) « الأصغر .

(٤) محمد .

(٥) عبد الله .

(٦) جعفر .

فأما الأول فقاتل بين يدى أبيه حتى قتل ، وأما الأوسط فهو زين العابدين ، كان مع أبيه بكربلاء فأسر بعد أن استشهد أبوه ثم رجع إلى مكة ومنه العقب . وأما الأصغر فجاءه سهم فى القتال وهو طفل فقتل بكربلاء ، وقتل عبد الله بكربلاء .

ومات جعفر بن الحسين فى حياة أبيه .

وله من البنات زينب وسكينة وفاطمة .

الأحاديث الواردة فى حقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسين منى وأنا من حسين . أحب الله من أحب حسيناً . حسين سبط الأسباط . الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا . من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى حسين » وكان يحمله على عاتقه ويقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » .

روايته عن رسول الله

روى الحسين رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها فيحدث لها استرجاعاً[1] إلا أعطاه الله ثواب ذلك » .

وروى عن طلحة بن عبيد الله قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقرأوا بِسْمِ اللهِ مَجْراها ومُرساها إنَّ رَبِّى لَغفور رَحِيمٌ » .

وروى الحسين عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

كراماته رضي الله عنه

نازل الحسين عبد الله بن أبى حصين الأزدى ليمنعه الماء فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً !

---

(١) استرجع فى المصيبة : استعاذ بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال له الحسين : « اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً » قال حميد بن مسلم : والله لعدته بعد ذلك فى مرضه ، فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى بغر[١] ثم يقىء ثم يعود فيشرب حتى يبغر ، فما يروى ؛ فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته (يعنى نفسه ، أى مات) .

ومن كراماته التى رواها الطبرى فى تاريخه : أن رجلاً من بنى تميم يقال له عبد الله ابن حَوزة جاء حتى وقف أمام الحسين فقـال : يا حسين ، يا حسين ، فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشر بالنار ! قال : كلا ؛ إنى أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع . من هذا ؟ قال له أصحابه : هذا ابن حوزة ، قال : « رب حزه إلى النار (سُقه) » .

فاضطرب به فرسه فى جدول فوقع فيه وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه فى الأرض ؛ ونفر الفرس فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات . وذلك عند ما كانوا يحاربون الحسين رضى الله عنه .

هذه كرامته تحققت فى الحـال ، وما أجهل ابن حوزة وأوقحه وأجرأه على ابن بنت رسول الله !! كيف يقول للحسين : أبشر بالنار ! وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وهو ابن بنته وريحانته ؟ !

وممن اجترأ على الحسين رضى الله عنه وقال له يا كذاب ، رجل يقال له علىّ بن قرظة وذلك يوم الموقعة لأن أخاه عمرو بن قرظة قُتل وكان مع الحسين .

ومن كراماته رضى الله عنه ، أنه دعا على مالك بن النسير الذى ضربه على رأسه بالسيف فأدماه بقوله : « لا أكلت ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين » .

فلم يزل فقيراً بشرٍ حتى مات .

وعن يسار بن عبد الحـكم قال :

---

(١) بغر : أكثر من الماء فلم يرو .

انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب ، فما تطيبت به امرأة إلا برصت .

هذا شيء من كراماته رضى الله عنه وهى كثيرة لا تحصى . ومن أعجب كراماته : حديث الزهرى فى قتل الحسين وهذا هو :

سأل أميرالمؤمنين عبد الملك بن مروان وهوقاعد فى إيوانه من كان مجتمعاً بحضرته فقال: « ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علىّ بن أبى طالب ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال الزهرى :

« إنه لم يرفع تلك الليلة التى صبيحتها قتل علىّ بن أبى طالب والحسين بن علىّ ــ حجر فى بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط (طرى) .

قال عبد الملك : صدقت ، حدثنى الذى حدثك ، و إنى و إياك فى هذا الحديث لغريبان ثم أعطاه مالاً كثيراً .

الخلاف بين الحسين والحسن

ذكرنا فى تاريخ الحسن رضى الله عنه أنه سلم الأمر لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ولأنه كان لا يثق بجيش العراق ، لكن الحسين رضى الله عنه كان كارهاً لما فعله فاعترض عليه بقوله :

« أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك » .

فقال له الحسن : « اسكت ؛ أنا أعلم بهذا الأمر منك ! » .

معاوية يحبس عن الحسين صلاته

حبس معاوية عن الحسين صلاته حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخى من البحر إذا زخر ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عن صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه ـ وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفاً ـ انهملت عيناه ثم قال : ويلك يا معاوية ما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت لين المهاد ؛ رفيع العماد ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال . ثم قال لقهرمانه : احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة وأخبره أنى شاطرته مالى فإن أقنعه ذلك ، وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يقيم حالك .

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله حملت ، والله على ابن عمى وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله ، وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام .

الحسين والخلافة

لما نشأ الحسين وترعرع وشاع ذكره وعرف فضله ، كان أهل الشيعة يرجون له الخلافة بعد معاوية لأن الحسن مات قبله وكان قد اشترط عليه أن تكون الخلافة له بعده كما تقدم .

فلما مات معاوية سنة ٦٠ هـ طمع الشيعة فى ولاية الحسين لكن يزيد بن معاوية كان قد تولى الخلافة بعد أبيه فأقر عبيد الله بن زياد عَلَى البصرة والنعمان بن بشير عَلَى الكوفة ، والوليد بن عتبة عَلَى المدينة وعمرو بن سعيد بن العاص عَلَى مكة .

ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا عَلَى معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولى عهده بعده والفراغ من أمرهم . فكتب إلى الوليد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له . فعاش بقدر ومات بأجل . فرحمهُ الله . فقد عاش محموداً ومات برًّا تقياً والسلام » .

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذن فأرة (لصغرها) :

« أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام » .

فلما أتاه نعى معاوية فَظِع به وكبر عليه . فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً . فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فجلى عنه وحرمه . فلم يزل كذلك حتى جاء نعى معاوية إلى الوليد . فلما عظم عَلَى الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه . فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد فى الأمر وقال : وكيف ترى أن نصنع ؟ قال : فإنى أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول فى الطاعة . فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم . وإن أبوا قدّمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية . فإنهم إن علموا بموت معاوية ، وثب كل امرئٍ منهم فى جانب وأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه . لا أدرى . أما ابن عمر ، فإنى لأراه يرى القتال ولا يحب أنه يولى عَلَى الناس إلا أن يُدفع إليه هذا الأمر عفواً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حَدَث إليهما يدعوهما . فوجدهما فى المسجد وهما جالسان فأتاهما فى ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه فى مثلها . فقال : أجيبا الأمير يدعوكما . فقالا له انصرف الآن نأتيه ثم أقبل أحدهما عَلَى الآخر . فقال

عبد الله بن الزبير للحسين: ظُنّ فيا تراه . بعث إلينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها. فقال الحسين : قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذ البيعة قبل أن يفشو فى الناس الخبر . فقال وأنا ما أظن غيره . قال : فما تريد أن تصنع ؟ قال أجمع فتيانى الساعة ثم أمشى إليه فإذا بلغتُ الباب احتبستهم عليه ثم دخلتُ عليه . قال : فإنى أخافه عليك إذا دخلت . قال : لا آتيه إلا وأنا عَلَى الامتناع قادر . فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته . ثم أقبل يمشى حتى انتهى إلى باب الوليد . وقال لأصحابه : إنى داخل فإن دعوتُكم أو سمعتم صوته قد علا ،فاقتحموا عَلَى بأجمعكم . وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم . فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده . فقال الحسين كأنه لايظن مايظن من موت معاوية : « الصلة خير من القطيعة. أصلح الله ذات بينكما » فلم يجيباه فى هذا بشىء . وجاء حتى جلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه الى البيعة .

فقال الحسين : « إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظّم لك الأجر . أما ماسألتنى من البيعة ، فإن مثلى لايعطى بيعته سراً ولاأراك تجتزئ بها منى سراً دون أن نُظهرها عَلَى رءوس الناس علانية . قال : أجل . قال : فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة ، دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً » . فقال له الوليد وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس . فقال له مروان : والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لاقدرت منه عَلَى مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم و بينه . احبس الرجل ولايخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه .

فوثب عند ذلك الحسين فقال : « يابن الزرقاء ! أنت تقتلنى أم هو ؟ كذبت والله وأثمت » .

ثم خرج الحسين فمر بأصحابه فخرجوا حتى أتى منزله .

فقال مروان للوليد: عصيتنى . لا والله لايمكنك من مثلها من نفسه أبداً . قال الوليد : ويح غيرك يامروان . إنك اخترت لى التى فيها هلاك دينى . والله ما أحب أن لى ما طلعت

عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وإنى قتلت حسينا . سبحان الله ! أقتل حسيناً إن قال لاأبايع ؟ والله إنى لاأظن امرءاً يحاسَبُ بدم حسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة .

فقال له مروان : « فإذا كان هذا رأيك ، فقد أصبت فيما صنعت » . يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

وأما ابن الزبير ، فقال : الآن آتيكم . ثم أتى داره فكمن فيها . فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً فى أصحابه متحرزاً . فألح عليه بكثرة الرسل والرجال فى إثر الرجال . فأما حسين فقال : كف حتى تنظر وننظر وترى ونرى . وأما ابن الزبير فقال : لاتعجلونى . فإنى آتيكم . أمهلونى . فألحوا عليهما عشيّتهما تلك كلها وأول ليلها وكانوا عَلَى حسين أشد إبقاء (وهذا يدل على شدة قلقهم وتخوفهم من الحسين وابن الزبير) .

وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالىَ فشتموه وصاحوا به ، ياابن الكاهلية ! والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك .

فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول : « الآن أجىء » فإذا استحثوه قال : والله لقد استربت بكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال . فلا تعجلونى حتى أبعث إلى الأمير من يأتينى برأيه وأمره .

فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال : رحمك الله كُفَّ عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غداً إن شاء الله . فمُرْ رسلك فلينصرفوا عنا .

فبعث إليهم . فانصرفوا . وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفُرْع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة .

فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج . فقال مروان : والله إن أخطأ مكة فسرح فى إثره الرجال . فبعث راكباً من موالى بنى أمية فى ثمانين راكباً . فطلبوه فلم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن الحسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسَوْا .

ثم بعث الرجال إلى الحسين عند المساء . فقال أصبحوا ثم ترون ونرى . فكفوا عنه تلك الليلة ولم يلحوا عليه . فخرج الحسين من تحت ليلته . وهى ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة . خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع[1] . فبينا عبد الله بن الزبير يُساير أخاه جعفر إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلى :

وكل بنى أمٍّ سيمسون ليلةً ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبدالله بن الزبير : سبحان الله ! ما أردتَ إلى ما أسمع يا أخى؟ قال : والله يا أخى ما أردت به شيئاً مما تكره . فقال : فذاك والله أكره إلىّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد . قال : وكأنه تطيَّر منه .

أما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته و بنى أخيه وجُل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له : يا أخى أنت أحب الناس إلىّ وأعزهم علىّ ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك ، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك ، فإن بايعوا لك حمدتُ الله على ذلك و إن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك إنى أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتى جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول إلا سنة فإذاً خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً .

فقال له الحسين : فإنى ذاهب يا أخى .

قال : فانزل مكة ، فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن نبت بك ، لحقت بالرمال وشَعَف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً .

---

(١) الفرع بضم أوله وسكون ثانيه : قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

قال : يا أخى ، نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً . وهذه أول نصيحة أسديت إلى الحسين رضى الله عنه .

وعن أبى سعد المقبرى قال : نظرت إلى الحسين داخلاً مسجد المدينة وأنه ليمشى وهو معتمد على رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة وهو يتمثل بقول ابن مفرّغ :

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فلق الصبح مغيراً ولا دُعيت يزيدا
يوم أعطى من المهابة ضيماً والمنايا يرصُدننى أن أحيدا

قال فقلت فى نفسى : والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشىء يريد فما مكث إلا يومين حتى بلغنى أنه سار إلى مكة .

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع ليزيد . فقال : إذا بايع الناس بايعتُ فقال رجل : ما يمنعك أن تبايع ؟ إنما تريد أن يختلف الناس بينهم فيقتتلوا ويتفانوا فإذا جهدهم ذلك قالوا : عليكم بعبد الله بن عمر ، لم غيره ، بايعوه قال عبد الله : ما أحب أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا ؛ ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيرى بايعت . فتركوه وكانوا لا يتخوفونه .

ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخل مكة قال : إنما أنا عائذ . ولم يكن يصلى بصلاتهم ولا يفيض بإفاضتهم ، كان يقف هو وأصحابه ناحية ثم يفيض بهم[1] وحده ويصلى بهم وحده .

فلما سار الحسين نحو مكة ، خرج منها خائفاً يترقب قال : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ فلما دخل مكة توجه تلقاء مدين قال : ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

هذا ما كان من امتناع عبد الله بن الزبير والحسين بن علىّ عن بيعة يزيد وخروجهما من المدينة إلى مكة مختفيين ليلاً . أما ابن عمر فلم يخش أحداً لأنه كان مسالماً غير طامع فى الخلافة . لذلك لم يشددوا عليه بل تركوه .

---

(١) يرجع بهم من عرفات .

وزعم الواقدى أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعى معاوية و بيعة يزيد على الوليد وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة فلقيهما ابن عباس وابن عمر قادمين من مكة فسألاهما . ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد . فقال لهما ابن عمر : أتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين . وأما ابن عمر فأقام أياماً فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه و بايعه ابن عباس .

وقبل أن نذكر ما كان من أمر الحسين وشيعته بالكوفة وما تبودل بينهما من الرسائل يجدر بنا أن نأتى على وصية معاوية لابنه لما حضرته الوفاة . ويقال إن يزيد كان غائباً فدعا بالضحاك بن قيس الفهرى وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المُرّىّ فأوصى إليهما فقال : بلغا يزيد وصيتى وهذه هى الوصية :

« انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب . وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فإن عزل عامل أحب إلىّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف . وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك . فإن رابك شئ من عدوك فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم . وإنى لست أخاف من قريش إلا ثلاثة : حسين بن علىّ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير . فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين (سكّنه) فليس ملتمساً شيئاً قِبَلك . وأما الحسين بن علىّ فإنه رجل خفيف أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم . ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه فإن قدرت عليه فاصفح عنه فإنى لو أنى صاحبه عفوت عنه . وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ فإذا شخص إليك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحاً فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعتَ » .

فكان معاوية يخشى أهل العراق وثوراتهم وتقلباتهم وهم بعيد عن عاصمة الخلافة . ولا يخفى أن كثرة تغيير الولاة لأسباب تافهة ليست سياسة محمودة بل الرأى أن يختار الوالى المصلح ويمكث فى ولايته زمناً حتى يتمكن من الإصلاح اللهم إلا إذا ظهر مايزعزع الثقة به.

لكن معاوية أوصى ابنه أن يضحى بالولاة إذا ثار أهل العراق حقناً للدماء، وتجنباً للثورات. وكان مطمئناً من جهة أهل الشام لأنه اختبرهم ومكث فيهم زمناً طويلا وسامهم كما يشتهى. لكنه نصح له أن يردهم إلى بلادهم متى انتصروا فإذا ساروا إلى العراق مثلاً وحاربوا وجب عليه أن يعيدهم لأنهم إن أقاموا بالعراق تخلقوا بأخلاق أهلها فيدب فيهم دبيب الخلاف والفتن فينقلبوا عصاة على حكامهم بعد أن كانوا مطيعين لهم.

وهناك رواية أخرى لوصية معاوية لاتختلف عن هذه الرواية فيما يختص بالصفح عن الحسين والتشديد على عبد الله بن الزبير. قال:

« يابنىّ. إنى قد كفيتك الرحلة والترّحال ووطّأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد. وإنى لاأتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتب لك إلا أربعة نفر من قريش، الحسين بن علىّ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك. وأما الحسين بن على فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه. فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً. وأما ابن أبى بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً، صنع مثله. ليس له همة إلا فى النساء واللهو. وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب. فإذا أمكنتهُ فرصة وثب. فذاك ابن الزبير. فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً ».

كتب أهل الكوفة

إلى الحسين

قدمنا أن الحسين لم يبايع وخرج من المدينة سراً بعد أن شدد عليه الوليد ومروان ليأخذا منه البيعة قهراً بناء على أمر يزيد. وقد كان الحسين مخالفاً لأخيه الحسن فى تسليم

الأمر لمعاوية وكانت حجة الحسن أن أهل العراق خذلوا أباه وخذلوه حين أراد أن يسيرهم لحرب معاوية وأنه يريد أن يحقن دماء المسلمين . واشترط على معاوية أن يكون الخليفة بعده لكن معاوية أوصى بها لابنه يزيد . فأبى الحسين رضى الله عنه ، أبى أن يبايعه لأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة بعد موت أخيه لأنه كان حائزاً لاحترام أهل الحجاز لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما عرف عنه من الصلاح والاستقامة . ولم يكن يزيد حائزاً لهذه الصفات والمؤهلات بل كان بالعكس فظاً غليظاً ، مستهتراً يتناول المسكر ويفعل المنكر . ولم يتمكن الحسين من دعوة الناس إلى بيعته فى المدينة ومكة لأن الرقابة عليه كانت شديدة فكان يرجو أن تعضده شيعته بالكوفة وكان الوالى عليها النعمان بن بشير الانصارى .

اجتمعت الشيعة فى منزل كبيرهم سليمان بن صرد الخزاعى وكتبوا إلى الحسين عن نفر منهم سليمان المذكور والمسيب بن محمد ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستقدمونه ليبايعوه . وقالوا إنهم لم يبايعوا للنعمان ولا يجتمعون معه فى جمعة ولا عيد ولو جئتنا أخرجناه. وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليك . فاننا نحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا إمام .فاقبل. لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة . لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا عيد . ولو بلغنا اقبالك الينا ، أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

ثم كتبوا إليه ثانياً بعد ليلتين نحو ١٥٠ صحيفة . ثم ثالثا يستحثونه للحاق بهم. كتب بذلك شبث بن ربعى وحجار بن أبجر بن جابر العجلى ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدى ومحمد بن عمير التميمى . ولما اجتمعت عند الحسين رضى الله عنه كتب اليهم :

« أما بعد ، فقد فهمت كل الذى اقتصصتم . وقد بعثت اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى – مسلم بن عقيل – وأمرته أن يكتب الىّ بحالكم وأمركم . فان كتب الىّ أنه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم ، أقدم اليكم وشيكاً ان شاء الله . فلعمرى ما الإمام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام »

فقوله « لعمرى . . . الخ . » اشارة الى أن الإمام لم يكن عاملا بالكتاب وهذا تعريض بيزيد يفهمه الشيعة

واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفا يتحدثون فيه . فعزم يزيد بن نُبيط على الخروج إلى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة . فقال : أيكم يخرج معى؟ فخرج معه ابنان له ، عبد الله وعبيد الله فساروا فقدموا عليه بمكة ثم ساروا معه

ثم دعا الحسين مسلم بن عقيل فسيَّره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف . فإن رأى الناس مجتمعين ، عجّل اليه بذلك

فسار مسلم نحو الكوفة فأقبلت اليه الشيعة تختلف اليه . ولما بلغ ذلك النعمان – والى الكوفة – صعد المنبر وقال :

« أما بعد فلا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فان فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال » وقد كان النعمان عثمانيا ولاه معاوية الكوفة وأقره يزيد وكان حليماً ناسكا يحب العافية . ثم قال :

« انى لا أقاتل إلا من يقاتلنى ولا أثب على من لايثب علىّ ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة ولكنكم ان أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذى لا آله إلا هو لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى. ولو لم يكن لى منكم

ناصر ولا معين . أما انى أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل »

فقام اليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمى حليف بنى أمية وقال له : إنه لا يصلح ماترى إلا الغشم . إن هذا الذى أنت عليه رأى المستضعفين

فأجاب النعمان :

« أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الىّ من أن أكون من الأعزين فى معصية الله وما كنت لأهتك ستراً ستره الله »

عزل النعمان وتولية عبيد الله بن زياد

كتب عبد الله بن مسلم بقول النعمان إلى يزيد . فدعا مولى يقال له « سرجون » وكان يستشيره (١) . فأخبره الخبر . فقال له : أكنت قابلا من معاوية لوكان حيًا ؟ قال ، نعم . قال فاقبل منى فانه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولها إياه . وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد لكنه أخذ برأى سرجون وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة فأمره بطلب مسلم بن عقيل و بقتله أو نفيه .

و بعد أن وصل عبيد الله إلى الكوفة ، خطب أهلها فقال :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين ولانى مصركم وثغركم وفيئكم ، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم . وأنا متبع

---

(١) قال ابن الأثير أن سرجون رومى وكان كاتب معاوية وصاحب أمره

فيكم أمره ، ومنفذ فيكم عهده ، فأنا لمحسنكم كالوالد البر ، ولمطيعكم كالأخ الشقيق ، وسوطى على من ترك أمرى وخالف عهدى فليتق امرؤ على نفسه » .

ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً وقال : اكتبوا إلى الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق . فمن كتبهم إلىّ فبرىء ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما فى عرافته أن لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله. وأيما عريف وُجد فى عرافتـه من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره . وألقيت تلك العرافة من العطاء وسُير إلى موضع بعمان الزارة ، ثم نزل وسمع مسلم بمقالة عبيد الله .

اغتباط ابن الزبير

بمسير الحسين إلى الكوفة

لما علم عبد الله بن الزبير بما اعتزم عليه الحسين من الخروج إلى الكوفة ، جاء إليه يؤيد رأيه ويحرضه على الخروج بقوله :

« لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت بها » .

قال له ذلك وهو يعلم أن أهل العراق حتى من شيعة الحسين لا يعول عليهم ولا يثبتون على رأى واحد وهم فوق ذلك مغلوبون على أمرهم يخشون حكامهم من بنى أمية وأتباعهم ويطمعون فى أموالهم . كان ابن الزبير يعلم ذلك ومحال عليه أن يخفى عليه أمر كهذا لكن لما كان الحسن بالمدينة كان سيد أهل الحجاز ولم يكن الناس يعدلون به عن غيره . فأحب أن يخرج الحسين من الحجاز لتخلو له وهذا ما ردّ به الحسين على قوله : « لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها » وقال ابن عباس للحسين : « لقد أقررت عين ابن الزبير » يريد أنه أقر عينه بعزمه على السفر إلى الكوفة .

فكان الحسين يعلم مطمح ابن الزبير لكنه مع ذلك خرج من الحجاز وتركها على أمل أن يلقى بالعراق شيعة تؤيده وتبايعه ولا سيما بعد أن تلقى منهم كتباً عديدة تلح عليه بالقدوم عليهم .

آراء من خالف الحسين

فى الخروج إلى الكوفة

كان الحسين عليه السلام محبوباً محترماً لدى كل من يعرفه ولا سيما لدى أهله ، فلما علموا بعزمه على الخروج إلى الكوفة بعد أن أبى مبايعة يزيد بن معاوية ، أبدى إليه

من اجتمع به من أحبابه النصح حتى يتدبر الأمر ولا يصاب بمكروه ، وإنا نعرض هنا آراء الذين خالفوه وحذروه .

فقد روى أنه لما قدم الحارث بن هشام المخزومى مكة وكان قد تسلم الحسين رضى الله عنه كتب أهل العراق وتهيأ للسفر ، دخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال له :

« إنى أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة ، فإن كنت ترى أنك تستنصحنى ، وإلا كففت عما أريد أن أقول ؟ »

قال : « قل ، فوالله ما أظنك بسيء الرأى » .

فقال له الحارث : « قد بلغنى أنك تريد المسير إلى العراق ، وإنى مشفق عليك من مسيرك ، إنك تأتى بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال . وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك النصر ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه » .

فقال الحسين : « جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد والله علمتُ أنك مشيتَ بنصح وتكلمتَ بعقل ، ومهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته فأنت عندى أحمد مشير وأنصح ناصح » .

توقع الحارث أن يخذل الحسين من وعده بالنصر من أهل العراق فنصحه بأن لا يعوّل عليهم ولا يثق بهم ، ثم أن عمال يزيد لديهم الأموال ، والناس عبيد لمن عنده مال ، فهم يستطيعون بذل المال لمحاربة الحسين لكن الحسين لم يناقشه بل شكره على نصحه .

وأتاه عبد الله بن عباس لما علم أن الحسين رضى الله عنه قد أجمع المسير إلى الكوفة فقال له : «يا ابن عم ، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لى ما أنت صانع؟»

قال : « إنى قد أجمعتُ المسير فى أحد يومىّ هذين إن شاء الله تعالى » .

فقال له ابن عباس : « فإنى أعيذك بالله من ذلك ! أخبرنى رحمك الله ، أتسير إلى قوم

قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم ، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك » .

فقال له الحسين : « وإنى أستخير الله وأنظر ما يكون » .

وهنا نجد أيضاً أنه لم يناقش ابن عباس ، بل وعده بالنظر فى الأمر .

فلما كان العشى أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن عباس للمرة الثانية ، وذلك ليعلم ماذا استقر عليه رأى الحسين فقال :

«يا ابن عم، إنى أتصبر ولا أصبر ؛ إنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال. إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم ؛ أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا ، فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم اقدم عليهم فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن ، فإن بها حصوناً وشعاباً ، وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل رسلك وتبث دعاتك ، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية » .

فقال له ابن عباس : « فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ؛ فوالله إنى لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك ، والله الذى لا إله إلا هو لَوْ أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علىّ وعليك الناس أطعتنى لفعلتُ ذلك» .

والذى يتضح من كلام ابن عباس أنه كان متخوفاً من خروج الحسين إلى العراق ، وكان يخشى أن يقتل هناك لأن أهل العراق غادرون ، وكان يرى أن يبقى فى الحجاز حائزاً لاحترام الجميع ، فإن كان أهل العراق يريدونه حقيقة فليبرهنوا على ذلك بالفعل لا بالقول وذلك بأن يثوروا على عدوه ويتغلبوا عليه ويطردوه فيكون الطريق أمامه ممهداً سالماً لتولى الخلافة .

ثم إن ابن عباس أشار عليه بالذهاب إلى اليمن إن كان قد قرر المسير من الحجاز . وهذا رأى لم يبده إليه أحد ، والذى دعاه إلى هذا أن لعلىّ باليمن شيعة ، وهنا يجدر بنا أن نذكر كيف كانت لعلىّ رضى الله عنه شيعة باليمن إذ أن هذه مسألة ترجع إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فأقام بينهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شىء مع شهرة خالد وقوة شكيمته فبعث رسول الله علىّ بن أبى طالب وأمره أن يرجع خالد ومن معه ، قال البراء ابن عازب : فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر ، فصلى علىّ بنا الفجر ، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال : السلام على همدان ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام ، فكانت لعلىّ كرم الله وجهه شيعة عظيمة باليمن ، ولهذا نصح ابن عباس للحسين أن يذهب إلى اليمن ليكون فى مأمن ، ولأن بها حصوناً وشعاباً يستطيع التحصن بها والالتجاء إليها عند الحاجة . ونصحه أيضاً أن لا يأخذ معه أهله إن سافر إلى الكوفة لأنه كان يتوقع أن يقتله أهلها .

لم يعمل الحسين بنصيحة الحارث بن هشام وعبد الله بن عباس ، وقرر الذهاب إلى الكوفة اعتماداً على ما جاءه من الكتب .

وقال الفرزدق الشاعر للحسين رضى الله عنه لما لقيه وسأله أن يبين له نبأ الناس خلفه :

« من الخبير سألت . قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء . والله يفعل ما يشاء »

ولما خرج الحسين من مكة ، كتب اليه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب مع ابنيه عون ومحمد :

« أما بعد فانى أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى فانى مشفق عليك من الوجه

الذى توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . ان هلكت اليوم طفىء نور الأرض .فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين . فلا تعجل بالسير فانى فى أثر الكتاب والسلام »

فقد توقع عبد الله بن جعفر أن يقتل الحسين كما توقع ابن عباس وأشفق عليه ونصح له أن لا يعرض نفسه للخطر . فانه ان قتل أطفىء نور الارض وذلك لمكانته السامية . ولم يقتصر عبد الله بن جعفر على ارسال هذا الكتاب إلى الحسين بل استعان بعمرو بن سعيد ابن العاص والى مكة فكلمه وقال له اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب ماتشاء وأتنى به حتى أختمه . أعنى أنه فوض اليه الأمر . فكتب عبد الله بن جعفر عن لسان عمرو فقال له اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد فإنه أحرى أن تطمئن اليه نفسه و يعلم أنه الجد منك . فقبل . فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ثم انصرفا بعد أن قرآ الكتاب على الحسين . فكان مما اعتذر به ان قال : « رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماض له »

فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟

قال : ما حدثت أحداً بها وما أنا محدث بها حتى ألقى ر بى وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن على :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن على . أما بعد فانى أسأل الله أن يصرفك عما يو بقك، وان يهديك لما يرشدك . بلغنى انك قد توجهت إلى العراق . و إنى اعيذك بالله من الشقاق . فانى أخاف عليك فيه الهلاك . وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر و يحيى بن سعيد . فأقبل إلىّ معهما فان لك عندى الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك . الله علىّ بذلك شهيد و كفيل ومراع وو كيل والسلام عليك »

هذا ما كتبه عبد الله بن جعفر عن لسان عمرو بن سعيد بغية أن يحمل الحسين على الرجوع و بالطبع لما كان عمرو هذا هو والى مكة من قبل اليزيد ، كان اللائق بمركزه أن يكتب له بتجنب الشقاق . لكن الحسين لم يكن يعلم أن الذى كتب هو عبد الله بن جعفر فكان رد الحسين :

«أما بعد ، فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحا ، وقال اننى من المسلمين وقد دعوت الى الأمان والبر والصلة . فخير الأمان ، أمان الله . ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه فى الدنيا . فنسأل الله مخافة فى الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة . فان كنت نويت بالكتاب صلتى ، وبرى فجزيت خيراً فى الدنيا والآخرة والسلام »

وفى أثناء سير الحسين الى الكوفة ، رآه عبد الله بن مطيع العدوى فقال له : بأبى أنت وأمى يابن رسول الله ما أقدمك ؟

فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك . فكتب الىَّ أهل العراق يدعوننى إلى أنفسهم

فقال له عبد الله بن مطيع :

« أذكرك الله يابن رسول الله فى حرمة العرب . فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك . ولئن قتلوك لا يهابون أحداً أبداً . والله انها لحرمة الاسلام تنتهك . وحرمة قريش وحرمة العرب . فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبنى أمية » فابى الا أن يمضى .

لا مشاحة أن الحسين كان شجاعاً مقداماً لايخشى الموت فى سبيل الله فقد قال الحر بن يزيد وهو يسايره :

« ياحسين ! انى أذكرك الله فى نفسك . فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قتلت لتهلكن فيما أرى »

فقال له الحسين :

« أفبالموت تخوفنى ؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى ؟ ما أدرى ما أقول لكم ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أين تذهب فانك مقتول . فقال :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى   إذا مانوى حقاً وجاهـــد مسلما
وآسى الرجال الصالحـين بنفسه   وفارق مثبوراً يغشى و يرغـــا

و بالرغم من أنهم أنذروا الحسين فانه لم يكن يتصور انهم يقتلونه ولم يكن مع ذلك يبالى بالقتل

لم يكن للحسين جيش يعتمد عليـه و يثق به إنما كان اعتماده على كتب كثيرة وصلته ملأت خرجين علم منها أن معه ١٠٠٫٠٠٠ وهو عدد عظيم يغرى على المسير إليهم . وقـد ظن أن هؤلاء متى رأوه قادماً إليهم ـ وهو ابن بنت رسول الله ـ وعلم المهتدين ورجاء المؤمنين أسرعوا إلى بيعته ور بما كان يظن ان هذا العدد يزيد و ينمو عند قدومه . والحقيقة كما قال الفرزدق ، أن قلو بهم معه لـكن سيوفهم كانت مع بنى أمية الذين كانوا قابضين على زمام الامور فبيدهم الأموال والرجال والذخائر والمؤن. أما الذين بايعوا الحسين وعددهم نحو ١٢٫٠٠٠ أو أكثر فانهم تسللوا خوفاً لما هددهم عبيد الله بن زياد وكان رجلا قاسياً ، شـديداً على الحسين . فـلم يبق بعد ذلك الا نفر يسير من أقار به ومحبيه نحو ١٤٠ بين فارس وراجل وهؤلاء لا يصعب إبادتهم عن آخرهم فى لحظة . و بالفعل قتل أصحابه كلهم وفيهم بضعة عشر شابا من أهل بيته

والدليل على أن الحسين اغتر بدعوة أهل الـكوفة وكتبهم ورسلهم قوله وهو يمسح الدم عن ابنه الذى أصيب وهو فى حجره أثناء القتال :

« اللهم احكم بيننا و بين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا » فالحسين رضى الله عنه لم يدرك أنه أخطأ فى تقدير مساعدة أعوانه وشيعته إلا بعد أن وصل الـكوفة واحتك بهم وسمع أخبارهم . فقد روى أنه لما سأل عن الناس ، قال له مجمع بن عبد الله العائذى :

«أما أشراف الناس ، فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم . يُستمال ودهم و يستخلص به نصيحتهم . فهم إلب واحد عليك (أى جمع كثير مجتمعون على عداوتك) . أما سائر الناس فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك » .

كتاب الحسين إلى أهل الكوفة

وشجاعة قيس بن مسهر

كان مسلم بن عقيل قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة .

« أما بعد فإن الرائد لايكذب أهله . إن جمع أهل الكوفة معك . فأقبل حين تقرأ كتابى والسلام عليك » .

و بناء على ذلك أقبل الحسين حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة ، بعث قيس بن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسين بن على . إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين . سلام عليكم . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم عَلَى نصرنا والطلب بحقنا . فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر . وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية . فإذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمركم وجدّوا فإنى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله والسلام عليكم و بركاته » .

أقبل قيس بن مسهر الصيداوى إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد . فقال له عبيد الله : اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب . فصعد ثم قال :

« أيها الناس إن هذا الحسين بن علىّ خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله . وأنا رسوله إليكم . وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه » .

ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلىّ بن أبى طالب .

قد كان قيس بن مسهر هذا فى منتهى الشجاعة والجراءة كما يتبين من هذه الحادثة . ولذا أرسله الحسين إلى الكوفة يحمل رسالته . ولا شك أن قيساً كان يعلم أن عبيد الله

ابن زياد حاكم الكوفة رجلاً شديداً قاسيا ، قابضاً على زمام الأحكام بيد من حديد كما كان أبوه . وكان الحكم بالقتل أو التعذيب متوقفاً على كلمة يتفوه بها ومع ذلك كما قال لقيس أن يصعد القصر ويسب الحسين (الكذاب ابن الكذاب كما ادعى) صعد . وبدلا من أن يسبه لينجو من الهلاك ، مدحه ودعا الناس إليه ولم يقتصر على ذلك وفيه مخالفة صريحة لأمره ، بل لعن عبيد الله وهو موقن أن بعد هذه الكلمات التى تفوه بها ، للموت الزؤام . فأمر عبيد الله أن يرمى به من فوق القصر فرمى به فتقطع فمات رحمه الله .

قتل مسلم بن عقيل
رسول الحسين إلى أهل الكوفة

لما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة ، هدد أهلها بالقتل والسلب والنهب وكان مسلم بن عقيل ابن عم الحسين حاضراً خطبته فانصرف وترك دار المختار والتجأ إلى دار هانئ . وسيأتى ذكر هانئ فى باب قتل الحسين فاختلفت الشيعة إليه فى داره فعلم بذلك عبيد الله بن زياد وكان شريك بن الأعور مريضاً فى دار هانئ وكان شديد التشيع ، شهد صفين مع عمار فأرسل إليه عبيد الله ، إنى رائح إليك العشية لأنه كان كريماً على ابن زياد . فقال شريك لمسلم : إن هذا الفاجر عائدى العشية فإذا جلس اخرج إليه فاقتله . ثم اقعد فى القصر ليس أحد يحول بينك و بينه . وفى الليل أتاه عبيد الله . فقام مسلم بن عقيل . فقال له شريك : لايفوتنك إذا جلس . فقال هانئ بن عروة : لا أحب أن يُقتل فى دارى .

فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فأطال . فلما رأى شريك أن مسلماً لايخرج ، خشى أن يفوته . فأخذ يقول :

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها   اسقونيها و إن كانت بها نفسى

قال ذلك مرتين أوثلاثاً . فقال عبيد الله ماشأنه ترونه يخلط . فقال له هانئ : نعم . مازال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه . فانصرف .

فلما قام ابن زياد ، خرج مسلم بن عقيل . فقال له شريك ما منعك من قتله ؟ فقال : خصلتان . أما إحداهما : فكراهية هانئ أن يُقتل فى منزله . وأما الأخرى لحديث حدثه على عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الإيمان قيد الفتك . فلا يفتك مؤمن بمؤمن » . وقد كانت هذه فرصة سانحة لمسلم لقتل عبيد الله والتخلص منه وقد امتنع مسلم من قتله لحديث رسول الله ولكن عبيد الله فتك بهم جميعاً .

فقال هانئ لمسلم : لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً . ولبث شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات . فصلى عليه عبيد الله . فلما علم عبيد الله أن شريكاً كان حرض مسلماً على قتله قال : والله لا أصلى على جنازة عراقى أبداً ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا . وانقطع هانئ عن زيارة عبيد الله فسأل عنه عبيد الله وكلف من يأتى به وهو يعلم أنه يأوى مسلماً فى داره . فلما دخل هانئ على عبيد الله كاشفه عبيد الله فى شأن إيوائه لمسلم بن عقيل وأظهر له أنه يعلم كل شىء وأمره أن يأتى به فأبى هانئ وقال : لا آتيك بضيفى تقتله أبداً فهدده عبيد الله بالقتل فقال له : إذن والله تكثر البارقة (السيوف) حول دارك وهو يرى أن عشيرته ستمنعه ، فقال عبيد الله : « ألبارقة تخوفنى ؟ » وأخذ قضيباً ولم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب (وكان رجل يقال له مهران آخذاً بضفيرتى هانئ) ثم أمر به فألقى فى بيت وأغلق عليه .

فأحاطت عشيرة هانىء بالقصر إذ بلغها أنه قتل فخرج إليهم شريح القاضى وطمنهم وقال لهم إنه لم يقتل وأنه رآه حياً فانصرفوا فأتى الخبر مسلم بن عقيل. فنادى فى أصحابه « يامنصور أمت » وكان شعارهم وكان قد بايعه ١٨٫٠٠٠ وحوله فى الدور ٤٠٠٠ فاجتمع إليه ناس كثير . فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز فى القصر وأغلق الباب وأحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس. ومازالوا يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله أمره وليس معه فى القصر إلا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه . وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الدار الذى يلى دار الروميين والناس يسبون ابن زياد

وأباه . فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثى وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل النـاس عن ابن عقيل ويخوفهم . وأمر محمد بن الاشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من النـاس وقال مثل ذلك لقعقاع بن شور الذهلى وشبث بن ربعى التميمى وحجار بن أبجر العجلى وسمر بن ذى الجوشن الضبابى وترك وجوه الناس عنده استيناساً بهم لقلة من معه. فخرج أولئك النفر يخذلون الناس. وأمر عبيدالله من عنده من الاشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية ، ففعلوا . فلما سمع الناس مقالة أشرافهم ، أخذوا يتفرقون حتى إن المرأة تأتى ابنها وأخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك . فما زالوا يتفرقون حتى بقى ابن عقيل فى المسجد فى ثلاثين رجلاً . فلما رأى ذلك، خرج متوجهاً نحو أبواب كندة فلما خرج الباب ، ولم يبق معه أحد . فمضى فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب إلى أن دخل بيت امرأة يقال لها طوعة وسيأتى ذكر ذلك فيا بعد فلا حاجة لا عادته هنا. ولما اطمأن عبيد الله ، أتى المسجد وصلى العتمة ثم قام فحمد الله ثم قال :

« أما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الشقاق . فبرئت الذمة من رجل وجدناه فى داره ومن أتانا به فله ديته »

وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم أن يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط (أى كان رئيس الشرطة) وهو من بنى تميم . فما زالوا يبحثون عن مسلم حتى وجدوه فى دار تلك المرأة فحاصروا الدار وأخذوه إلى عبيد الله بعد أن قاتلهم وأمنه محمد بن الاشعث وكان قـد عجز عن القتال لكثرة ما اصابه وأتى ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكأنه آيس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال « هذا أول الغدر » فقال له محمد بن الاشعث ، أرجو أن لا يكون عليك بأس (لكن عبيد الله لا يرحم). قال وما هو إلا الرجاء. أين أمانكم؟ ثم بكى

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمى ، من يطلب مثل الذى تطلب إذا نزل به مثل الذى نزل بك لم يبك

فقال مسلم : ما أبكي لنفسي ولكني أبكي لأهلي المنقلبين اليكم. أبكي للحسين وآل الحسين

ثم قال لمحمد بن الأشعث انى أراك ستعجز عن أماني فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي و يقول له عني ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فانهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ؟ فقال له ابن الاشعث ، والله لأفعلن . ثم كتب بما قال مسلم إلى الحسين . فلقيه الرسول بزبالة . فأخبره . فقال ، كلما قدر نازل عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا . وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم إليه يخبره أنه بايعه ١٨،٠٠٠ و يستحثه للقدوم . أما مسلم فان محمداً قدم به القصر ودخل محمد على عبيد الله. فأخبره الخبر و بأمانه له . فقال عبيد الله . ما أنت والأمان . ما أرسلناك لتؤمنه إنا أرسلناك لتأتينا به . فسكت محمد . ولما جلس مسلم على باب القصر ، رأى جرة فيها ماء بارد . فقال اسقوني من هذا الماء . فقال له مسلم بن عمرو الباهلي ، أتراها ، ما أبردها. والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم . فقال له ابن عقيل ، من أنت ؟ قال ، أنا من عرف الحق إذ تركته ونصح الأمة والإمام إذ غششته . وسمع وأطاع إذ أعصيته. انا مسلم بن عمرو

فقال له ابن عقيل : « لأمك الثكل . ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك ! ! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني

فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصب له في قدح . فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دما . ففعل ذلك ثلاثاً . فقال لو كان من الرزق المقسوم ، شربته . وأدخل على ابن زياد . فلم يسلم عليه بالامارة . فقال له الحرسيّ ، الا تسلم على الأمير ؟ فقال ، ان كان يريد قتلي ، فما سلامي عليه ؟ وان كان لا يريد قتلي فليكثرن تسليمي عليه . فقال له ابن زياد ، لعمري ليقتلنّ . فقال ، كذلك . قال ، نعم . قال ، فدعني أوصي الى بعض قومي . قال . افعل . فقال لعمر بن سعد ، إن بيني و بينك قرابة ولي إليك حاجة وهي سر فلم يمكنه من ذكرها فقال ابن زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك : فقام معه : فقال ان عليّ بالكوفة ديناً استدنته أنفقته : سبعمائة درهم فاقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها فوارها وابعث إلى الحسين من يرده.

فقال عمر لابن زياد : انه قال كذا ، كذا . فقال ابن زياد : لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن ، أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت ، وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأما جثته فإنا لن نشفّعك فيها .

ثم قال لمسلم : يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرُهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم . فقال : كلا ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب والسنة .

فقال : وما أنت وذاك يا فاسق . ألم يكن يُعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة .

قال : أنا أشرب الخمر ؟ والله إن الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق وإنى لست كما ذكرت . وأن أحق الناس بشرب الخمر منى من يلغ فى دماء المسلمين فيقتل النفس التى حرم الله قتلها عَلَى الغضب والعداوة وهو يلعب كأنه لم يصنع شيئاً .

فقال له ابن زياد : قتلنى الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الإسلام .

قال : أما انك أحق من أحدث فى الإسلام ما ليس فيه ، أما انك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك .

فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعلياً وعقيلاً . فلم يكلمه مسلم ، ثم أمر به فأُصعد فوق القصر لتضرب رقبته ويتبعوا رأسه جسده .

فقال مسلم لابن الأشعث : والله لولا أمانك ما استسلمت ؛ قم بسيفك دونى قد أخفرت ذمتك . فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبح وأشرف به على موضع الحذائين فضربت عنقه . وكان الذى قتله بُكير بن حُمران ثم أتبع رأسه جسده .

فلما نزل بكير « القاتل » قال له ابن زياد : ما كان يقول وأنتم تصعدون به ؟ قال : كان يسبح ويستغفر ، فلما قتلته قلت له : أدن منى ، الحمد لله الذى أمكننى منك وأقادنى

منك . فضربته ضربة لم تغن شيئاً ، فقال : أما ترى فيّ خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد ؟ فقال ابن زياد : وفخراً عند الموت ، قال : ثم ضربته الثانية فقتلته .

وقام محمد بن الأشعث فكلم ابن زياد في هانئ وقال له : قد عرفت منزلته في المصر وبيته . وقد علم قومه أني أنا وصاحبي سقناه إليك ، فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه . فوعده أن يفعل .

فلما كان من مسلم ما كان بدا له فأمر بهانئ حين قُتل مسلم فأخرج إلى السوق فضربت عنقه . قتله مولى تركي لابن زياد ، وبعث ابن زياد برأسيهما إلى يزيد ، فكتب إليه يشكره .

وفي قتل مسلم وهانئ يقول الفرزدق :

وإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بطل قد هشّم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيلِ

هذه قصة قتل مسلم بن عقيل . وهنا نقول إنه كانت قد سنحت لمسلم فرصة لقتل عبيد الله والتخلص منه عند ما زار عبيد الله شريكاً الذي كان مريضاً في دار هانئ فلم يقتله تديناً وإكراماً لهانئ . وكان في وسع مسلم أيضاً أن يقتحم قصر عبيد الله عند ما اجتمع لديه أكثر من ١٨٫٠٠٠ ، لكنه ظل أمام القصر مدة استطاع عبيد الله في أثنائها من الاستعانة بأشراف الكوفة لصرف الناس عنه ولو أن مسلماً تعجل لفتك به وتمت له الغلبة ، وقد كان انصراف جيش مسلم من حوله ثم أسره وقتله مقدمة لمقتل الحسين رضي الله عنه لأنه إنما كان يعتمد على ذلك الجيش الذي بايع لمسلم .

ولسنا في حاجة إلى شرح فظاعة ابن زياد فإن الحوادث التي ذكرناها لا تحتاج إلى تعليق ، فهو مجرم بطبيعته فظ ؛ غليظ ؛ جاف ؛ نزعت من قلبه الشفقة والرحمة ، ورجل مثل هذا إذا حكم لم يدع رذيلة إلا ارتكبها ، ولا جريمة إلا اقترفها فكان يشتم ويضرب بيده

ويأمر بقطع الرءوس والصلب ولا يعفو ولا يرعى مكانة من يأمر بقتله ولا بقرابته من رسول الله وقد شتم الحسين وعلياً وعقيلاً فى المسجد . ولا ريب أن الإسلام يبرأ من هذا الرجل وأعماله وقد كان يرسل برءوس القتلى من الأكابر والأشراف إلى يزيد لعلمه أنه يسره ذلك ولو صح أن يزيد شكره لما أرسل إليه برأس عقيل وهانئ لكان فى ذلك تشجيعاً له على ارتكاب القتل والإمعان فى الظلم والإرهاب على أنه استمر فى إرسال رءوس القتلى بعد ذلك فأرسل رأس الحسين ومن قتل من صحبه وأهله وعدتهم ٧٢ .

خطبة الحسين

فى أهل العراق

قال رضى الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائراً مستحلا لحرم الله نا كثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان — فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله . ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان . وتركوا طاعة الرحمن . وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله . وأنا أحق من غيرّ . وقد أتتنى كتبكم وقدمت علىّ رسلكم ببيعتكم . انكم لا تسلمونى ولا تخذلونى . فان تممتم علىّ بيعتكم تصيبوا رشدكم . فأنا الحسين بن علىّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . نفسى مع أنفسكم . وأهلى مع أهليكم . فلكم فىّ أسوة . فان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتى من أعناقكم فلعمرى ما هى لكم بنكر . لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم . والمغرور من اغتربكم . فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم . ومن نكث فانه ينكث على نفسه . وسيغنى الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

بيّن الحسين فى هذه الخطبة لاهل العراق انه انما قام مجاهدا لتغيير الاحكام التى كانت تجرى على خلاف أوامر الله وسنة رسوله . فان الحكام كما قال: لزموا طاعة الشيطان . وتركوا طاعة الرحمن . وهو أحق من غيره بوضع الأمور فى نصابها واقامة العدل . وقد روى أن الفساد والمجون واباحة المحرمات ظهرت فى المدينة ، دار هجرة الرسول عليه السلام ، وامتدت إلى غيرها من البلدان . فاذا لم يكن الحسين هو الذى يغار على الدين ، فمن ذا الذى يغار عليه ؟

لكن الذين خطأوا الحسين لم يخطئوه على قيامه بالامر بالمعروف والنهى واعلان الجهاد

بل خطأوه لانه جازف ولم يتخذ لنفسه العدة الكافية لمحاربة عدوه فذهب هو وأرضه إلى أهله رغم تحذير أصدقائه ورغم ما يعلم من ضعف أهل العراق . وكان ينبغى أن يثبت منهم قبل أن يقدم عليهم وذلك بان يبث دعوته بواسطة أعوانه المخلصين . فان ظهر له أنهم قد اتحدوا وتعاونوا وتغلبوا على ولاة بنى أمية وأزالوهم من الحكم ، قدم عليهم وهو آمن مطمئن كما قال له ابن عباس .

الحسين يعزى

أخته زينب قبـــل أن يُقتل

قال علىّ بن الحسين بن علىّ :

« إنى جالس فى تلك العشية التى قتل أبى صبيحتها وعمتى زينب عندى تمرضنى ، اذ اعتزل أبى بأصحابه فى خباء له وعنـــده حُوَىّ مولى أبى ذر الغفارى وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبى يقول :

يا دهر أفٍّ لك من خليل ... كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبَديـل
وانما الأمر الى الجليـل ... وكل حىّ سالكُ السبيل

فأعادها مرتين أوثلاثا حتى فهمتُها . فعرفت ما أراد فخنقتنى عبرتى فرددتُ دمعى ولزمت السكوت . فعلمت أن البلاء قد نزل . فأما عمتى فانها سمعت ما سمعت وهى امرأة . وفى النساء الرقة والجزع . فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت اليه فقالت وأثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم . ماتت أمى وعلىّ أبى وحسن أخى يا خليفة الماضى وثمال[1] الباقى

فنظر اليه الحسين عليه السلام فقال :

---

(١) الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

« يا أخيّة ! لا يذهبن حلمك الشيطان .

قالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله . استقتلت نفسى فِداك . فردّ غُصته وترقرقت عيناه وقال : « لو تُرِك القطا ليلاً لنام » .

قالت : « يا ويلتا ! أفتغصب نفسك اغتصابا ؟ ! فذلك أقرح لقلبى وأشد على نفسى ولطمت وجهها وأهوت الى جيبها وشقته وخرّت مغشياً عليها . فقام الحسين فصب على وجهها الماء . وقال لها :

« يا أخيـة ! اتق الله وتعزّى بعزاء الله واعلمى أن أهل الارض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شىء هالك الا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون . وهو فرد وحده . أبى خير منى وأمى خير منى وأخى خير منى . ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة » فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها :

« يا أخيّة ! انى اقسم عليك فأبرّى قسمى . لا تشقى علىّ جيباً ولا تخمشى علىّ وجها ولا تدعى علىّ بالويل والثبور اذا أنا هلكت » ثم جاء بها حتى أجلسها عندى وخرج إلى أصحابه .

دعاء الحسين قبل الحرب

« لما صبحت الخيل الحسين رفع يديه فقال :

« اللهم أنت ثقتى فى كل كرب . فرجائى فى كل شدة وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة . كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو : أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منى إليك عمن سواك ففرجته وكشفته . فأنت ولى كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة »

خطبة الحسين والحر بن يزيد

قبل الحرب

ركب الحسين رضى الله عنه راحلته قبل الحرب . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملائكته وأنبيائه . فذكر من ذلك ما الله أعلم ثم قال :

« أما بعد فانسبونى . فانظروا مَن أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها . فانظروا هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى ؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء ، عم أبى ؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمى ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ولأخى : هـذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ فإن صدقتمونى بما أقول ـ وهو الحق ـ والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهليه ويضرّ به من اختلقه . وإن كذبتمونى فإن فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم . سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى ، أو أبا سعيد الخدرى ، أو سهل بن سعد الساعدى ، أو زيد بن أرقم ، أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ولأخى . أفما فى هذه حاجز لكم عن سفك دمى ؟ فإن كنتم فى شك من هذا القول ، أفتشكون أثراً ما إلى ابن بنت نبيكم خاصة . أخبرونى ، أتطلبونى بقتيل منكم قتلته ؟ أو مال لكم استهلكته أو بقصاص من جراحة ؟ »

فأخذوا لا يكلمونه لأنه أقام عليهم الحجة فنادى :

« ياشبث بن ربعى ، وياحجار بن أبجر ، وياقيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلىّ أن قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب (لحاء الشجر) وطمّت الجمام (فاض الماء الكثير) وإنما تقدم على جند لك فأقبل »

فقالوا : « لم نفعل . لم نفعل » فقال :

« سبحان الله . بلى والله لقد فعلتم » ثم قال :

« فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمنى من الأرض » .

فقال له قيس بن الأشعث :

« أولا تنزل على حكم بنى عمك فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه » .

فقال له الحسين :

« أنت أخو أخيك . أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد . عباد الله ! إنى عذت بربى وربكم أن ترجمون . أعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » .

ثم انه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها وأقبلوا يزحفون نحوه .

لقد خطبهم الحسين رضى الله عنه وأعلمهم شرف مركزه وتوسل إليهم أن لا يسفكوا دمه ويتركوه يذهب إلى مأمنه . ومن العجيب حقاً أنه كان فيهم نفر من الذين كاتبوه ليقدم ويبايعوه فلما قال لهم ذلك أنكروا أنهم كاتبوه وهو صادق فيما قال وهم كاذبون . ومع ذلك طلبوا إليه أن ينزل على حكم بنى أميه ويسلم نفسه . فلما أبى قاتلوه وكان من أشد الناس عليه شمر بن ذى الجوشن . أما الحر بن يزيد فإنه انضم إلى الحسين وكان شجاعاً فارساً . فقال له الحسين : « أنت الحر إن شاء الله فى الدنيا والآخرة » ثم خاطب الحر أهل الكوفة قائلا :

« يا أهل الكوفة ! لامكم الهَبَل والعُبر (الثُكل) إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم ، أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن

أهل بيته وأصبح فى أيديكم كالأسير لايملك لنفسه نفعاً ولايدفع ضراً وخلاّتموه ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشرب به اليهودىّ والمجوسىّ والنصرانىّ وتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه . وهاهم قد صرعهم العطش . بئسما خلفتم محمداً فى دينه . لاأسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه » .

لكن هذا الكلام وكلام الحسين رضى الله عنه لم يصادف منهم آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية بل استمروا فى قتاله طوعاً لأمر الوالى وطمعاً فى التزلف إليه فآثروا الدنيا الفانية على الدين وهم يعلمون أنهم إنما يقاتلون ابن بنت رسول الله الذى بشره الرسول بالجنة ! !

قتل الحسين

١٠ محرم سنة ٦١ هـ (١٠ أكتوبر سنة ٦٨٠م)

إن قتل الحسين رضى الله عنه كما رواه المؤرخون وشهود العيان من أفظع الحوادث التاريخية التى نذكرها والدمع ينهمر من العيون وتنفطر لها القلوب وتقشعر الأجسام وترتجف الأنامل والأقلام عند تسطيرها وتضطرب المشاعر عند التفكير فيها . فقد قتله أعداؤه أشنع قتلة ولم يحترموا مكانته ولم تأخذهم شفقة عليه وعلى أهله وأولاده الصغار الذين لاحول لهم ولا قوة ومثلوا به وبهم جميعاً ارضاء للوالى وتسابقوا إلى حمل رأسه إليه ابتغاء المكافأة . وهذه رواية شاهد عيان :

قال عمار بن معاوية الذهنى : قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين ، حدثنى عن مقتل الحسين حتى كأنى حضرته قال :

« مات معاوية ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن على ليأخذ بيعته ليلته . فقال أخرنى ورفق به . فأخره فخرج إلى مكة فأتاه رسل أهل الكوفة فقالوا : إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الجمعة مع الوالى فاقدم علينا . وكان النعمان ابن بشير الأنصارى والى الكوفة . فبعث الحسين بن على إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب . ليأخذ بيعتهم . فقال سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ . فإن كان حقاً ، قدمت إليه . فخرج مسلم حتى أتى المدينة فأخذ منها دليلين فمرا به فى البرية . فأصابهم عطش . فمات أحد الدليلين . فقدم مسلم الكوفة فنزل عَلَى رجل يقال له « عوسجة » . فلما علم أهل الكوفة بقدومه ، دنوا إليه . فبايعه منهم ١٢٫٠٠٠ . فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير . فقال إنك ضعيف أو مستضعف . قد فسد البلد . فقال له النعمان : لأن أكون ضعيفاً فى طاعة الله ، أحب إلىّ من أن أكون قوياً فى معصيته . ما كنت لأهتك ستراً .

فكتب الرجل بذلك إلى يزيد . فدعا يزيد مولى له يقال له « سرحون » فاستشاره . فقال له ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد . وكان يزيد ساخطاً عَلَى عبيد الله . وكان همّ بعزله عن البصرة . فكتب إليه برضاه وأنه قد أضاف إليه الكوفة . وأمره أن يطلب مسلم ابن عقيل . فاذا ظفر به قتله .

فأقبل عبيد الله بن زياد فى وجوه البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً . فلا يمر عَلَى أحد فيسلم إلا قال له أهل المجلس : « عليك السلام يا ابن بنت رسول الله » يظنونه الحسين بن على قدم عليهم . فلما نزل عبيد الله القصر ، دعا مولى له فدفع إليه ثلاثة آلاف درهم . فقال اذهب حتى تسأل عن الرجل الذى يبايعه أهل الكوفة فادخل عليه واعلمه أنك من حمص وادفع إليه المال و بايعه .

فلم يزل المولى يتلطف حتى دلوه عَلَى شيخ يلى البيعة ، فذكر له أمره فقال : لقد سرنى إذ هداك الله ، وساءنى أن أمرنا لم يستحكم . ثم أدخله عَلَى مسلم بن عقيل ودفع المال وخرج حتى أتى عبيد الله فأخبره ، وتحول مسلم حين قدم عبيد الله من تلك الدار إلى دار أخرى ، فأقام عند هانئ بن عروة المرادى وكان عبيد الله قال لأهل الكوفة : ما بال هانئ بن عروة لم يأتنى ؟ فخرج إليه محمد بن الأشعث فى أناس من وجوه أهل الكوفة وهو عَلَى باب داره ، فقالوا له : إن الأمير قد ذكرك واستبطأك فانطلق إليه . فركب معهم حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده شريح القاضى ، فقال عبيد الله ــ لمّا نظر إليه ــ لشريح : « أتتك بحائن رجلاه » فلما سلم عليه قال له : يا هانئ ، أين مسلم بن عقيل ؟ فقال : لا أدرى. فأخرج إليه الذى دفع الدراهم إلى مسلم . فلما رآه سُقط فى يده وقال : أيها الأمير ، ما دعوته إلى منزلى ، ولكنه جاء فطرح نفسه عَلَىّ . فقال : ائتنى به ، فتلكأ . فاستدناه ، فأدنوه منه. فضربه بالقضيب وأمر بحبسه فبلغ الخبر قومه ، فاجتمعوا على باب القصر ، فسمع عبيد الله الجلبة . فقال لشريح القاضى : اخرج إليهم فأعلمهم أننى ما حبسته إلا لأستخبره عن خبر

مسلم ولا بأس عليه منى . فبلغهم ذلك فتفرقوا ، فنادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره ، فاجتمع إليه ٤٠٠٠٠ من أهل الكوفة ، فركب و بعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده فى القصر ، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردهم ، فكلموهم ، فجعلوا يتسللون فأمسى مسلم وليس معه إلا عدد قليل منهم ، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً ، فلما بقى وحده تردد فى الطريق بالليل فأتى باب امرأة فقال : اسقينى ماء ، فسقته فاستمرأ قائماً فقالت : يا عبيد الله ! إنك مرتاب فما شأنك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، فهل عندك مأوى ؟ قالت : نعم ، ادخل فدخل وكان لها ولد من موالى محمد بن الأشعث فانطلق إلى محمد بن الأشعث فأخبره ، فلم يفجأ مسلماً إلا والدار قد أحيط بها ، فلما رأى ذلك خرج بسيفه يدفعهم عن نفسه فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان فأمكن من يده ، فأتى به عبيدالله فأمر به فأصعد إلى القصر ثم قتله وقتل هانئ بن عروة وصلبهما .

ولم يبلغ الحسين ذلك حتى كان بينه و بين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له : ارجع فإنى لم أدع لك خلفى خيراً وأخبره الخبر ، فهمّ أن يرجع وكان معه اخوة مسلم فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نُقتل .

فساروا وكان عبيد الله قد جهّز الجيش لملاقاته فوافوه بكربلاء ، فنزلها ومعه خمسة وأربعون نفساً من الفرسان ونحو مائة راجل ، فلقيه عمر بن سعد بن أبى وقاص ، وكان عبيد الله ولاه الرى وكتب إليه بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين ، فلما التقيا قال له الحسين : اختر منى إحدى ثلاث : إما أن ألحق بثغر من الثغور ، وإما أن أرجع إلى المدينة ، وإما أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية ؟ فقبل ذلك عمر منه ، فكتب فيه إلى عبيد الله فكتب إليه : لا أقبل منه حتى يضع يده فى يدى . فامتنع الحسين فقاتلوه ، فقتل معه أصحابه وفيهم سبعة عشر شابًا من أهل بيته ، ثم كان آخر ذلك أن قُتل وأتى برأسه إلى عبيد الله فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم علىّ بن الحسين كان مريضاً ومنهم عمته زينب.

فلما قدموا على يزيد أدخلهم على عياله ثم جهزهم إلى المدينة . هذه الرواية مضبوطة إلا أنه ينقصها بعض التفاصيل ومنها تفاصيل المعركة ، وها نحن أولاء نوفى الموضوع حقه .

كان عمر بن سعد كارهًا محاربة الحسين ، فلما أمره عبيد الله بن زياد أن يسير لقتاله تلكأ فقال له زياد : فاردد علينا عهدنا . قال : فأسير إذن . فلما سار قال عمر لقرة بن سفيان الحنظلى ، انطلق إلى الحسين فسله ، ما أقدمك ؟ فأتاه فأبلغه ، فقال الحسين : أبلغه عنى أن أهل المصر (الكوفة) كتبوا إلىّ يذكرون ألا إمام لهم ويسألونى القدوم عليهم ، فوثقت بهم فغدروا بى بعد أن بايعنى منهم ١٨٫٠٠٠ رجل فلما دنوت علمت غرور ما كتبوا إلىّ وأردت الانصراف إلى حيث منه أقبلت فمنعنى الحر بن يزيد وسار حتى جعجع بى (تعلق بى وكفنى عن الذهاب) فى هذا المكان ولى بك قرابة قريبة ورحم ماسة فأطلقنى حتى أنصرف . فرجع قرة إلى عمر بن سعد بجواب الحسين فقال عمر: «الحمد لله ، والله إنى لأرجو أن أعفى عن محاربة الحسين » .

وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد ، أن امنع الحسين وأصحابه الماء ، فلا يذوقوا منه حسوة كما فعلوا بالتقى عثمان بن عفان .

فلما ورد على عمر بن سعد ذلك ، أمر عمرو بن الحجاج أن يسير فى خمسمائة راكب فينيخ على الشريعة (مورد الناس للاستقاء) ويحولوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام ، فمكث أصحاب الحسين عطاشى .

قالوا ولما اشتد بالحسين وأصحابه العطش ، أمر أخاه العباس بن على أن يمضى فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلا مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء فيحاربوا من حال بينهم وبينه . فمضى العباس نحو الماء وأمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة . فمنعهم عمرو بن الحجاج فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها . واقتحم رَجّالة الحسين الماء فملأوا قربهم . ووقف العباس فى أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين . ثم ان

ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد قائد الجيش الذى يحارب الحسين :

« أما بعد . فانى لم أبعثك الى الحسين لتطاوله الايام ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتكون شفيعه الىّ . فاعرض عليه وعلى أصحابه النزول على حكمى . فان أجابوك ، فابعث به و بأصحابه الىّ . وأن أبوا ، فازحف اليه فانه عاق شاق . فان لم تفعل فاعتزل جندنا وخلّ بين شمر بن ذى الجوشن و بين العسكر فانّا قد أمرناه بأمرنا » .

كان عبيد الله بن زيد يريد أن يقضى على الحسين ورجاله فى الحال و يرى أن عمر بن سعد يتمهل فى قتاله فأمره ان هم رضوا بالنزول على حكمه أن يبعثهم اليه والا يزحف عليهم . ومعلوم ان الحسين يرفض أن ينزل على حكم عبيد الله . وعلى فرض انه ذهب هو ورجاله اليه فانه يأمر بقتلهم وقد كان عمر بن سعد كارها فى الوقت نفسه لقتال الحسين لكنه كان لا يريد أن يعتزل و يتخلى عن ولاية الرى . فنادى فى أصحابه ، أن انهضوا إلى القوم . فنهض اليهم عشية الخميس وليلة الجمعة : لتسع ليال خلون من المحرم . فسألهم الحسين تأخير الحرب الى غد ، فأجابوه . فأمر الحسين أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم من بعض ويكونوا أمام البيوت وأن يحفروا من وراء البيوت أخدوداً (شقاً فى الأرض) وأن يضرموا فيه حطباً وقصباً كثيراً لئلا يأتوا من أدبار البيوت فيدخلوها وذلك استعداداً للقتال والدفاع ولما صلى عمر بن سعد الغداة نهض بأصحابه وعلى ميمنته عمرو بن صبح الصيداوى وعلى ميسرته سمر بن ذى جوشن واسمه شمر ، شرحبيل بن عمرو بن معاوية من آل الوحيد . وعلى الرجالة شبث بن ربعىّ والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد .

وعبى الحسين عليه السلام أيضا أصحابه وكانوا ٣٢ فارسا و ٤٠ راجلا . فجعل زهير بن القين البجلى على ميمنته وحبيب بن مظهر على ميسرته ودفع الراية الى أخيه العباس بن على . ثم وقف ووقفوا معه أمام البيوت . وانحاز الحر بن يزيد الذى كان جعجع بالحسين الى الحسين . فقال له قد كان منى الذى كان وقد أتيتك مواسياً لك بنفسى أفترى ذلك لى تو بة

مما كان منى ؟ قال الحسين : نعم انها لك توبة فأبشر فأنت الحر فى الدنيا والحر فى الآخرة إن شاء الله . ونادى عمر بن سعد مولاه زيداً أن قدّم الراية فتقدم بها وشبت الحرب .

فلم يزل أصحاب الحسين يقاتلون ويقتلون حتى لم يبق معه غير أهل بيته . فكان أول من تقدم منهم ، علىّ بن الحسين وهو علىّ الأكبر . فلم يزل يُقاتل حتى قُتل . ثم قُتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه عمرو بن صبيح الصيداوى فصرعه . ثم قتل عدى بن عبد الله ابن جعفر الطيّار . قتله عمرو بن نهشل التميمى . ثم قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب رماه لقيط بن ياسر الجهنى بسهم فقتله . ثم قتل أبو بكر بن الحسن بن على ، رماه عبد الله ابن عقبة الغنوى بسهم فقتله .

ولما رأى ذلك العباس بن على قال لاخوته عبد الله وجعفر وعثمان بنى على عليه السلام ، تقدموا بنفسى أنتم لحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه . فتقدموا جميعاً . فصاروا أمام الحسين يقونه بوجوههم ونحورهم . فحمل هانئ بن ثويب الحضرمىّ عَلَى عبد الله بن علىّ فقتله . ثم حمل عَلَى أخيه جعفر بن على فقتله أيضاً . ورمى يزيد الأصبحى عثمان بن علىّ بسهم فقتله ثم خرج إليه فاحتز رأسه فأتى عمر بن سعد ، فقال له أثبنى . فقال عمر عليك بأميرك (يعنى عبيد الله بن زياد) فسله أن يثيبك .

وبقى العباس بن على قائماً أمام الحسين يقاتل دونه ويميل معه حيث مال حتى قُتل .

وبقى الحسين وحده . فحمل عليه مالك بن سنان الكندى فضربه بالسيف عَلَى رأسه وعليه برنس خز فقطعه وأفضى السيف إلى رأسه فجرحه . فألقى الحسين البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها ثم اعتمّ بعمامة وجلس . فدعا بصبى له صغير فأجلسه فى حجره فرماه رجل من بنى أسد وهو فى حجر الحسين بمشقص (بنصل) فقتله . وبقى الحسين ملياً جالساً ولو شاءوا أن يقتلوه ، قتلوه . غير أن كل قبيلة كانت تتكل على غيرها وتكرر الاقدام على قتله .

وعطش الحسين . فدعا بقدح من ماء . فلما وضعه فى فمه ، رماه الحصين بن نمير بسهم فدخل فى فمه وحال بينه وبين الماء . فوضع القدح من يده .

ولما رأى القوم قد أحجموا عنه ، قام يتمشى على المسناة نحو الفرات فحالوا بينه و بين الماء . فانصرف إلى موضعه الذى كان فيه . فرماه رجل من بنى تميم يقال له عمر الطُّهَوى بسهم فأثبته فى عاتقه . فنزع الحسين السهم . وضربه زُرعة بن شريك التميمى بالسيف واتقاه الحسين بيده . فأسرع السيف فى يده . وحمل عليه سنان بن أنس بن عمرو النخعى الأصبحى فطعنه فسقط ونزل إليه خولى بن يزيد الأصبحىّ ليحز رأسه فأُرعد . فقال له سنان ابن أنس : « فت الله فى عضديك وأبان يديك » فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه .

ووجد بالحسين حين قُتل ٣٣ طعنة و ٣٤ ضربة وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب عَلَى رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولى وسلب الحسين ما كان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس قطيفة وأخذ نعليه رجل من بنى أود يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من بنى أهل حبيب بن بديل .

ومال الناس عَلَى الورس والحلل والإبل وانتهبوها وانتهبوا ملابس النساء . فلما جاء عمر بن سعد ، أمرهم أن يردوا ماسلبوا . فما رد أحد شيئا .

أصحاب الحسين وأهل بيته

يفدونه بأرواحهم

كان أصحاب الحسين وأهل بيته قليلا ولم يكن لهم أمل فى الانتصار على عدوهم ولا فى النجاة لكنهم كانوا فى منتهى الشجاعة ، يفدون الحسين رضى الله عنه بارواحهم وقد فتك العدو بهم فتكا مروّعا ولم يشفق عليهم ولم يرع حرمتهم . وقد أثنى الحسين على أصحابه وأهل بيته ،

قال علىّ بن الحسين :

جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء . فد نوت منه لأسمع وأنا مريض . فسمعت أبى وهو يقول لاصحابه :

« أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم انى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصارا وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين .

أما بعد فانى لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابى ولا أهل بيتى فجزاكم الله عنى جميعا خيراً . ألا وانى اظن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً . ألا وانى قد رأيت لكم فاطلقوا جميعا فى ليس عليكم منى ذمام . هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً . ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى ثم تفرقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم انما يطلبونى ولو قد أصابونى لهوا عن طلب غيرى » .

أراد الحسين بذلك أن ينصرف عنه أصحابه وأهل بيته ويتفرقوا فى المدن ولا يُقتلوا لأجله ويبقى هو وحده . فقال له اخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر :

« لِمَ نفعل لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً » .

والذى بدأ بهذا القول العباس بن على — وهو أخوه من أبيه . ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه :

فقال الحسين عليه السلام :

« يا بنى عقيل ! حسبكم من القتل بمسلم . اذهبوا . قد أذنت لكم » :

قالوا : « فما يقول الناس . يقولون انا تركنا شيخنا وسيدنا و بنى عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندرى ما صنعوا !! لا والله لا نفعل ولكن نفديك وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتى نرد موردك . قبّح الله العيش بعدك » .

وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدىّ فقال :

« أنحن نخلى عنك ولما نعذر إلى الله فى أداء حقك . أما والله حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى ولا أفارقك ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك » .

وقال سعيد بن عبد الله الحنفى :

« والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله لو علمت انى أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أُذر . يفعل بى ذلك سبعين مرة . ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك !!! فكيف لا أفعل ذلك وهى قتلة واحدة . ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً » .

وهذا أبلغ ما سمعنا فى إظهار التفانى فى الحب والتضحية لاجل المحب واحتمال منتهى العذاب لا مرة واحدة بل مراراً . فهل بعد ذلك اخلاص وتفان ؟ وقال مثل ذلك زهير ابن القين :

« والله لو ددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف مرة . وان الله يدفع

بذلك القتل عن نفسك ونفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك » .

وقال أبو ثمامة ، عمرو بن عبد الله الصائدى للحسين لما رأى أصحابه يُقتلون وأعداءه يقتربون منـــه .

« يا أبا عبد الله ؟ نفسى لك الفداء . انى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك . ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك ان شاء الله وأحب أن ألقى ربى وصليت هذه الصلاة التى قددنا وقتها » .

فرفع الحسين رأسه ثم قال :

« ذكرت الصلاة . جعلك الله من المصلين الذاكرين . نعم هذا أول وقتها . سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى » .

فقال لهم الحصين بن تميم : « إنها لا تُقبل » .

فقال له حبيب بن مظاهر : « لا تقبل ! زعمت الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل وتقبل منك يا حمار !! » .

فحمل عليهم حصين بن تميم وخرج اليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشب ووقع عنه وحمله أصحابه فاستنقذوه .

وأخذ حبيب ينشد الشعر وقاتل قتالا شديدا . فحمل عليه رجل من بنى تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله وكان يقال له بديل بن صُريم من بنى عُقفان وحمل عليه آخر من بنى تميم فطعنه فوقع . فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فوقع ونزل اليه التميمى فاحتز رأسه .

ولما قُتل حبيب بن مظاهر هد ذلك حسينا لانه كان شجاعاً مخلصاً وقاتل الحر بن يزيد وزهير بن القين قتالا شديداً حتى قُتلا وقتل نافع بن هلال الجلى اثنى عشر من أصحاب عمر ابن سعد سوى من جرّح وأخيراً ضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا . فأخذه شمر ابن ذى الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أوتى به عمر بن سعد . فقال له عمر : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ قال :

« إن ربى يعلم ما أردت (والدماء تسيل على لحيته) قال : والله لقد قتلت اثنى عشر سوى من جَرحتُ ، وما ألوم نفسى على الجهد ولو بقيتْ لى عضد وساعد ما أسرتمونى » .

فقال شمر بن ذى جوشن لعمر بن سعد : « اقتله أصلحك الله » قال : «أنت جئت به فإن شئت فاقتله » .

فانتضى شمر سيفه فقال له نافع : « أما والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ؛ فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدى شرار خلقه ! » فقتله .

فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم ، تنافسوا فى أن يقتلوا بين يديه ، جاء عبد الله وعبد الرحمن ، ابنا عزرة الغفاريان ، فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نُقتل بين يديك ، نمنعك وندفع عنك . قال : مرحباً بكما ، ادنوَا منى . فدنوا منه فجعلا يقاتلان وجاء الفتيان الجابريان : سيف بن الحارث بن سريع ، ومالك بن عبد بن سريع وهما ابنا عم وأخوان لأم . فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يبكيان فقال : أى ابنى أخى ! ما يبكيكما ؟ فوالله إنى لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرى عين . قالا : « جعلنا الله فداك ، لا والله ما على أنفسنا نبكى ولكن نبكى عليك ؛ نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك » .

فقال : « جزاكما الله يا ابنى أخى بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياى بأنفسكما أحسن جزاء المتقين » ثم التفا بالحسين وقاتلا : حتى قُتلا .

وجاء حنظلة بن سعد الشبامى فقام بين يدى حسين فأخذ ينادى :

« يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ، يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله العذاب وقد خاب من افترى » .

فقال حسين : « يا ابن سعد ، قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين ؟ » .

قال : صدقت ، جُعلت فداك ، أنت أفقه منى وأحق بذلك .أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟

قال : رُح إلى خير من الدنيا وما فيها وإلى ملك لا يبلى .

فقال : السلام عليك أبا عبد الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرف بيننا وبينك فى جنته .

فقال : آمين ، آمين .

وجاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى ومعه شوذب مولى شاكر فقال الحسين : ياشوذب ما فى نفسك أن تصنع ؟

قال : ما أصنع ،أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتل .

قال : ذلك الظن بك ، إما لا فتقدم بين يدى أبى عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه ، وحتى أحتسبك أنا فإنه لو كان معى الساعة أحد أنا أولى به منى لسرنى يوم ينبغى لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لاعمل بعد اليوم وإنما هو الحساب.

فتقدم فسلم على الحسين ثم مضى فقاتل .

ثم قال عابس بن أبى شبيب : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ علىّ ولا أحب إلىّ منك ، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشىء أعز علىّ من نفسى ودمى لفعلته . السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهد الله أنى على هديك وهدى أبيك . ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جنبيه ، وكان من أشجع الناس ، فأخذ ينادى : « ألا رجل لرجل ؟ » (يريد أن يخرج له رجل يبارزه) .

فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة . فرمى بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ثم شد على الناس فأحاطوا به من كل جانب وقتلوه فتناولوا رأسه ، كل يقول : أنا قتلته ، فأتوا عمر بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتله سِنان واحد . ففرق بينهم بهذا القول .

ومن الذين قتلوا من أصحاب الحسين يزيد بن زياد وهو أبو الشعثاء الكندى من بنى بهدلة ، وكان يزيد بن زياد بن المهاجر ممن خرج مع عمر بن سعيد إلى الحسين ، فلما ردوا الشروط على الحسين ، مال إليه فقاتل معه حتى قتل . فأما الصيداوى عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلمانى ، وسعد مولى عمر بن خالد ، ومجمع بن عبد الله العائذى ، فإنهم قاتلوا فى أول القتال فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس ، فلما وغلوا عطف عليهم الناس ، فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس بن علىّ ، فاستنقذهم وكانوا قد خرجوا ، فلما دنا منهم عدوا شدوا بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا فى مكان واحد .

وكان آخر من بقى مع الحسين من أصحابه ، سويد بن عمرو بن أبى المطاع الخثعمى ، وكان أول قتيل من بنى أبى طالب يومئذ علىّ الأكبر بن الحسين بن علىّ ، وأمه ليلى ابنة أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى ، صرعه مرة بن منقذ واحتوله الناس فقطعوه بأسيافهم . ولما قتل قال أبوه الحسين :

« قتل الله قوماً قتلوك يا بنىّ ؛ ما أجرأهم عَلَى الرحمن وعَلَى انتهاك حرمة الرسول ، عَلَى الدنيا بعدك العفاء » .

وخرجت زينب ابنة فاطمة مسرعة تنادى : « يا أخياه » فجاء الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط .

وأقبل الحسين ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال : احملوا أخاكم . فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه .

ثم إن عمرو بن صبيح الصدائى رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه عَلَى

جبهته فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه ثم صوب إليه سهماً آخر ففلق قلبه ، وحمل عبد الله ابن قطبة الطائى عَلَى عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقتله وشد عثمان بن خالد بن أسيد الجهنى و بشر بن سوط الهمدانى عَلَى عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب فقتلاه ، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمى جعفر بن عقيل بن أبى طالب فقتله .

وحمل عمرو بن سعد بن نفيل الأزدى على القاسم بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب وضرب رأسه بالسيف فوقع على وجهه وقتل وكان غلاماً . ولما رأى الحسين ذلك شد شدة ليث أغضب ، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين ، فاستقبلت عمراً بصدورها فحركت حوافرها بفرسانها عليه فوطأته حتى مات .

وقام الحسين على رأس القاسم وقال : « بُعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيه جدك » .

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى أبا بكر بن الحسين بن علىّ بسهم فقتله ، وشد هانئ ابن ثبيت الحضرمى على عبد الله بن على بن أبى طالب فقتله ، ثم شد على جعفر بن علىّ فقتله وجاء برأسه .

والخلاصة أن أصحاب الحسين وأهله ضحوا بأنفسهم فداء للحسين عليه السلام .

عمر بن سعد
ينهى رجاله عن مبارزة أصحاب الحسين

مما تقدم نرى أن أصحاب الحسين استبسلوا استبسالاً عظيماً فى القتال والدفاع عنه ، أولاً لأنهم شجعان ، ثانياً احتراماً للحسين وتعظيماله، ثالثاً لاعتقادهم أنه أحق بالخلافة . أما أهله فقد كانوا يحبونه و يجلونه و يرون الحياة بعده لا قيمة لها . ومن الأمثلة على شجاعتهم وتفانيهم فى الذودعنه ما قد ذكرنا . وقد روى أنه كان كلما برز رجل من رجال عمر بن سعد الى أحد من أصحاب الحسين قُتل وأخيراً كان نافع بن هلال يقاتل يومئذ ويقول :

أنا الجملى أنا على دين على

فخرج اليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال أنا على دين عثمان . فقال له ، أنت على دين شيطان . ثم حمل عليه فقتله . فصاح عمرو بن الحجاج بالناس ، يا حمقى ! أتدرون من تقاتلون ؟ فرسان المصر ، قوماً مستميتين ، لا يبرزنّ لهم منكم أحد . فانهم قليل وقل ما يبقون . والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم :

فقال عمر بن سعد « صدقت الرأى ما رأيت » وأرسل الى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم :

فأصحاب الحسين انهزموا وقتلوا لا لحاجتهم الى شجاعة وحمية بل لقلتهم .

شجاعة عبد الله بن عمير الكلبى

وامرأته أم وهب

كان رجل يدعى عبد الله بن عُمَير من بنى عُلَيم قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد من همدان داراً وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها « أم وهب » بنت عبد فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليُسرَحوا الى الحسين . فسأل عنهم فقيل له ، يُسرحون الى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً وإنى لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند اللهمن ثوابه اياى فى جهاد المشركين . فدخل الى امرأتهفأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت ، أصبت أصاب الله بك، أرشد أمورك . افعل وأخرجنى معك .

فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا فأقام معه . فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ، ارتمى الناس . فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبى سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا :من يبارز ؟ ليخرج إلينا بعضكم . فوثب حبيب بن مظاهر وبُرير بن حُضَير . فقال لهما حسين : اجلسا . فقام عبد الله بن عمير الكلبى فقال : أبا عبد الله ! رحمك الله . أئذن لى فلأخرج اليهما . فرأى حسين رجلا آدم طويلا ، شديد الساعدين ، بعيد ما بين المنكبين فقالا ، من أنت فانتسب لها . فقالا ، لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير . ويسار مستنتل امامه سالم . فقال له الكلبى: يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ويخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك . ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد. فانه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم . فصاح به قد رهقك العبد . فلم يأبه له حتى غشيه . فبدره الضربة فاتقاه الكلبى بيده اليسرى . فأطار أصابع كفه اليسرى . ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله . وأقبل الكلبى مرتجزاً وهو يقول وقد قتلهما جميعاً .

إن تنكرونى فأنا ابن كلب حسبى ببيتى فى عُليم حسبى
انى امرؤ ذو مرة وعَصْبِ ولست بالخوّار عند النكب
انى زعيم لكِ أم وهب بالطعن فيهم مُقدِمًا والضرب
ضرب غـلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب ، امرأته عموداً ثم اقبلت نحو زوجها تقول له . فداك أبى وأمى دون الطيبين ذرية محمد . فأقبل إليها يردها نحو النساء . فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت ، انى لن أدعك دون أن أموت معك . فناداها حسين ، فقال « جزيتم من أهل بيتى خيراً . ارجعى رحمك الله إلى النساء فاجلسى معهن . فانه ليس على النساء قتال » .

فانصرفت اليهن .

هذا ما كان من شجاعة عبد الله بن عمير الكلبى وامرأته وقد تطوعا للقتال مع الحسين عليه السلام . وقد أشفق الحسين على هذه المرأة فلم يتركها تقاتل قائلا « ليس على النساء قتال » وقد كان الحسين فى هذه اللحظة فى حاجة إلى مئات من أمثال الكلبى هذا ولكن ما الحيلة وقد انصرف عنه من كاتبه وأنكره من دعاه الى البيعة .

اتهـــام الحسين

بالمروق من الدين

تبين من أقوال بعض الذين حاربوا الحسين انهم كانوا جهالاً متعصبين يصدقون أقوال أعدائه من بنى أمية الذين كانوا يذيعون الأكاذيب ويطعنون على علىّ وأبنائه . يبررون بذلك قتلهم . فمن ذلك أن عبد الله بن حوزة خرج وقال للحسين . « ابشر النار » فدعا عليه فمات شر ميتة فى الحال .

وقال له علىّ بن قرظة : « يا كذاب ابن الكذاب ! أضللت أخى وغررته حتى قتلته

وقال الزبيدى: إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول :

« يا أهل الكوفة ! الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الامام » .

فقال له الحسين « يا عمرو بن الحجاج ، أعلىّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه ؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم ، أينا مرق من الدين ومن هو أولى بصلى النار » .

وهكذا كانوا يحرضون الناس على قتال الحسين زاعمين انه مرق من الدين تارة وتارة أخرى أنه كذاب ، كل ذلك لأنه خالف امامهم .

فسطاط الحسين

عليه السلام

كان الحسين عليه السلام قد أقام فسطاطاً له ، وجمع النساء والأطفال فيه ، وكان أصحابه يقاتلون أشد القتال ولا يقدر أعداؤهم على أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم بعضها من بعض ، فلما رأى ذلك عمر بن سعد ، أرسل رجالاً يقوضونها ليحيطوا بها فقتلهم أصحاب الحسين فأمر عمر بإحراقها فقال الحسين : دعوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد أحرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها وكان ذلك كذلك وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد فحمل شمر بن ذى الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاح النساء وخرجن من الفسطاط وصاح به الحسين :

« يا ابن ذى الجوشن ، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتى على أهلى حرّقك الله بالنار » .

فقال له حميد بن مسلم : « سبحان الله ، إن هذا لا يصلح لك أتريد أن تجمع خصلتين؛ تعذب بعذاب الله (يعنى بالنار) وتقتل الولدان والنساء ؟ ! ! والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك » .

فقال : « من أنت ؟ »

قال : « لا أخبرك » وخشى أن يضره عند الأمير .

فجاءه رجل يسمى شبث بن ربعى فقال له :

« ما رأيتُ مقالاً أسوأ من قولك ؛ ولا موقفاً أقبح من موقفك ؛ أمُرعباً للنساء صرت ؟ » فاستحى وانصرف .

عدد القتلى

من أصحاب الحسين

قتل الحسين عليه السلام أول سنة ٦١ يوم الجمعة وقيل يوم السبت لعشر مضين من محرم وهو يوم عاشوراء بكربلاء بأرض العراق ، وقبره مشهور يزار ، وهو ابن سبع وخمسين سنة .

وقتل من أصحاب الحسين ٧٢ رجلاً دفنهم أهل الغاضرية من بنى أسد بعد ما قتلوا بيوم.

وجىء برءوس من قتل مع الحسين من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد وكان عددها ٧٠ .

وهذه أسماء من قتل من أهل بيته :

(١) الحسين بن علىّ بن أبى طالب .

(٢) العباس بن علىّ ، أبو الفضل قتل وله ٣٤ سنة .

(٣) جعفر بن علىّ قتل وله ١٩ سنة .

(٤) عبد الله بن علىّ قتل وله ٢٥ سنة .

(٥) محمد بن علىّ ، وهو محمد الأصغر .

(٦) أبو بكر بن علىّ .

(٧) عثمان بن علىّ قتل وله ٢١ سنة .

(٨) علىّ بن الحسين وهو الأكبر ، ويكنى أبا الحسن وأمه ليلى لا عقب له .

(٩) عبد الله بن الحسين وأمه أم البنين قتل وهو ابن ٢٥ سنة لا عقب له .

(١٠) أبو بكر بن الحسن .

(١١) عبد الله بن الحسن .

(١٢) القاسم بن الحسن .

(١٣) عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

(١٤) محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

(١٥) جعفر بن عقيل بن أبى طالب .

(١٦) عبد الرحمن بن عقيل .

(١٧) عقيل بن أبى طالب .

(١٨) مسلم بن عقيل .

(١٩) عبد الله بن مسلم بن عقيل .

(٢٠) محمد بن أبى سعيد بن عقيل .

(٢١) سليمان مولى الحسين بن علىّ .

(٢٢) منجح مولى الحسين .

(٢٣) عبد الله بن بُقطر ، رضيع الحسين .

عدد القتلى من أصحاب عمر بن سعد

قتل من أصحاب عمر بن سعد ٨٨ رجلاً سوى الجرحى ، فصلى عليهم عمر ودفنهم ولم يكن فيهم أحد من أهل الشام .

كربلاء

دفن الحسين رضى الله عنه بكربلاء فى طرف البرية عند الكوفة واشتقاقه الكربلة رخاوة فى القدمين ، يقال : جاء يمشى مُكربِلاً أى كأنه يمشى فى طين ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك . ويقال كربلتُ الحنطة إذا هززتها ونقيتها ، فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدّغل فسميت بذلك . والكربل : اسم نبت الحُمّاض .

وقد روى أن الحسين رضى الله عنه لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه : ما تسمى هذه القرية ؟ وأشار إلى العقر . فقالوا له : اسمها العقر ، فقال الحسين : نعوذ بالله من العَقر (من عقر الفرس والناقة وغيرهما ، حصد قوائمها بالسيف) ثم قال : فما اسم هذه الأرض التى نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء . فقال : « أرض كرب وبلاء » وأراد الخروج منها فمُنع .

رأس الحسين

عليه السلام

أقبل خولى بن يزيد الأصبحى برأس الحسين . فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً . فأتى منزله فوضعه تحت أجانة فى الدار . ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه . فقالت له النوّار بنت مالك ، ما الخبر ؟ ماعندك ؟ قال جئتك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك فى الدار — قال ذلك لأنه كان يؤمل أن يكافئه الوالى ، عبيد الله مكافأة عظيمة .

فقالت له النوّار : « ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا والله لايجمع رأسى ورأسك بيت واحد أبداً »

قالت : فقمت من فراشى فخرجت إلى الدار . فدعا الأسدية فأدخلها إليه . وجلستُ أنظر . فو الله مازلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الأجانة (وعاء كبير للغسيل) ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها .

فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد فوُضع بين يديه فأخذ ينكت بقضيب بين ثنيّتيْه ساعة . فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجم عن نكته بالقضيب قال له : أعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين . فوالذى لا إلٰه غيره ! لقد رأيتُ شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلها . ثم انتحى الشيخ يبكى . فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك . فوالله لولا أنك شيخ قد خرِفت وذهب عقلك لضربت عنقك .

ونصب عبيد الله رأس الحسين بالكوفة فجعل يدار به فى الكوفة .

شجاعة زينب

ابنة فاطمة أمام عبيد الله

لما دخل برأس الحسين وصبيانه وأخواته ونسائه عَلَى عبيد الله بن زياد . لبست زينب ابنة فاطمة ـ أخت الحسين ـ أرذل ثيابها وتنكرت وحفّت بها إماؤها . فلما دخلت جلست. فقال عبيد الله من هذه الجالسة ، فلم تكلمه . فقال ذلك ثلاثاً . كل ذلك لاتكلمه . فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة . فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم . (هذه وقاحة من ابن زياد ليس بعدها وقاحة) .

فقالت : « الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهّرنا تطهيراً . لا كما تقول أنت . إنما يفتضح الفاسق ويُكذّب الفاجر » .

قال : فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟

قالت : « كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتخاصمون عنده » .

لقد تعدَّوا عَلَى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوهم ومثلوا بهم . وليس بالمستغرب أن يقع الظلم عَلَى الأطهار والأبرياء فى هذه الدنيا وقديماً قتل الأنبياء والصالحون والصديقون والأولياء . وسيحاسب الله الظالمين فى الآخرة عَلَى ماجنت أيديهم . قال تعالى : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ولو لم يكن هناك دار أخرى للحساب ، لساد الظلم وفاز الظالم القوى .

فلما قالت زينب ما قالت غضب ابن زياد واستشاط . فقال له عمرو بن حريث : « أصلح الله الأمير إنما هى امرأة . وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها . إنها لاتؤاخذ بقول ولا تلام عَلَى خَطَل » .

فقال لها ابن زياد : « قد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة المَرَدة من أهل بيتك » فبكت ثم قالت :

« لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى . فإن يشفك هذا ، فقد اشتفيت » .

فقال لها عبيد الله : « هذه شجاعة . لعمرى قد كان أبوك شاعراً شجاعاً » .

قالت : « ما للمرأة والشجاعة . إن لى عن الشجاعة لشغلاً ولكن نفثى ما أقول » .

علىّ بن الحسين

وعبيد الله بن زياد

عُرض علىّ بن الحسين بعد أن قُتل أبوه عَلَى عبيد الله بن زياد . فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين . فقال : أو لم يقتل الله علىّ بن الحسين ؟ فسكت

فقال له ابن زياد : مالك لاتتكلم ؟ قال : كان لى أخ يقال له أيضاً علىّ فقتله الناس .

قال : إن الله قد قتله ، فسكت علىّ . فقال له : مالك لاتتكلم ؟ قال . الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله .

قال عبيد الله : أنت والله منهم . ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إنى لأحسبه رجلاً . فكشف عنه مُرّىّ بن معاذ الأحمرى . فقال : نعم قد أدرك . فقال : اقتله : فقال علىّ بن الحسين : « من توكل بهؤلاء النسوة ؟ » وتعلقت به زينب عمته . فقالت :

« يا ابن زياد حسبك منا . أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ » فاعتنقته فقالت : « أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لمأ قتلتنى معه » .

وناداه علىّ فقال : « يا ابن زياد . إن كانت بينك و بينهم قرابة ، فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام » .

فنظر إليهما ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحم ، والله إنى لأظنها ودّت لو أنى قتلته أنى قتلتها معه ، دعوا الغلام . انطلق مع نسائك .

خطبة عبيد الله

بعد مقتل الحسين

لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس نودى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فى المسجد الأعظم ، فصعد المنبر ابن زياد فقال :

« الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علىّ وشيعته » .

فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدى ، وكان من شيعة علىّ وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علىّ ، فلما كان يوم صِفّين ضُرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى ، فكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف .

فلما سمع مقالة ابن زياد قال : « يا ابن مرجانة ! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى ولاّك وأبوه يا ابن مرجانة ! أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين !! » .

فأمر ابن زياد بقتله وصلبه .

تسريح رأس الحسين ورءوس أصحابه
إلى يزيد بن معاوية
بدمشق

دعا عبيد الله بن زياد زَحْر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورءوس أصحابه إلى يزيد ابن معاوية ليظهر للخليفة أنه قهر أعداءه وانتصر عليهم وقطع رءوسهم انتقاما منه وأنه أهل لثقته وقد برهن عبيد الله على أنه أقسى الحكام قلباً ، لا يبالى بسفك الدماء ولا تأخذه شفقة على أحد .

وكان مع زحر ، أبو بُردة بن عوف الأزدى وطارق بن أبى ظبيان الازدى . فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية .

أقبل زحر حتى دخل على يزيد فقال له يزيد . « ويلك ما وراءك وما عندك ؟ » .

فقال « أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره . ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته . فسرنا اليهم . فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام . فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا أخذت السيوف مأخذها منهم هام القوم ، يهربون إلى غير وَزَر (مأوى) ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر . فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزْر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس . وتسفى عليهم الريح . زوّارهم العقبان والرخم بقىّ سبسب [1] » .

---

(١) السبسب : المفازة ، وقيل الأرض المستوية البعيدة .

جاء زحر هذا يبشر يزيد بانتصارهم على الحسين وشيعته وهم نفر قليـل (١٨ من أهل بيته و ٦٠ من شيعته فيكون مجموعهم ٧٨ حسب ما أحصاهم زحر) جاء يبشر الخليفة ليدخل السرور فى نفسه وشرح كيف قاتلوهم ومثلوا بهم وتركوهم طعمة للجوارح والوحوش كأن ذلك مما يدعوا إلى الفخار والتيه والعجب ، وقد كان زحر يؤمل أن يتلقى يزيد هذه البشرى بالبشر ويجزل عطاءه ويكرم وفادته ، غير أنه لما سمع مقالة زحر دمعت عيناه وقال : « قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سُمية ، أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه . فرحم الله الحسين » ولم يصله بشىء . وهذه رواية الطبرى عن الغاز بن ربيعة الجُرَشى .

وقيل إن يزيد قال :

يفلّقن هامًا من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلمـــا

أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك .

وفى رواية أخرى للطبرى :

« لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد ، حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم ؛ فندم على قتل الحسين فكان يقول : وما علىّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معى فى دارى وحكّمته فيما يريد وإن كان علىّ فى ذلك وهن فى سلطانى حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته ، لعن الله ابن مرجانة فإنه اضطره وقد سأله أن يخلى سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله ، فلم يجبه إلى ذلك فقتله فبغضنى بقتله إلى المسلمين وزرع فى قلوبهم العداوة فأبغضنى البر والفاجر بما استعظموه من قتلى الحسين ، مالى ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه » .

ترحيل نساء الحسين وصبيانه

أرسل عمر بن سعد قائد الجيش الذى حارب الحسين نساء الحسين وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقى من أهل بيته رضى الله عنه إلا غلامًا كان مريضاً مع النساء ، فأمر به عبيد الله ليُقتل ، فطرحت زينب الحسين نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلونى ، فتركه .

فجهزهم عبيد الله وحملهم إلى يزيد ، فلما قدموا عليه ، جمع من كان بحضرته من أهل الشام ثم أدخلوهم فهنؤوه بالفتح .

وقيل : أمر عبيد الله بعلىّ بن الحسين فغُل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم مع مُحفّز بن ثعلبة ومع شمر بن ذى الجوشن ، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن علىّ بن الحسين يكلم أحداً منهما فى الطريق حتى بلغوا .

فلما انتهوا إلى باب يزيد ، رفع مُحفّز بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة .

فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم شر وألأم .

ولما هنئوا يزيد قال رجل من الذين كانوا بحضرته ونظر إلى وصيفة من بناتهم :

« يا أمير المؤمنين ، هب لى هذه ، فقالت زينب : لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله » .

فأعاد الرجل طلبه ، فقال له يزيد : « كف عن هذا » .

على بن الحسين

بين يدى يزيد

دعا يزيد بن معاوية أشراف الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلىّ بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون فقال يزيد لعلىّ :

« ياعلىّ أبوك الذى قطع رحمى . وجهل حقى ونازعنى سلطانى . فصنع الله به ما قد رأيتك » .

فقال علىّ :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها »

فقال يزيد لابنه خالد ، اردد عليه . فما درى خالد مايرد عليه . فقال له يزيد ، قل :

« ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

قد كان علىّ بن الحسين يحفظ القرآن ويحتج به على صغر سنه وكان حاضر البديهة طلق اللسان .

ثم دعا يزيد بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرآهم فى هيئة قبيحة . فقال قبّح الله ابن مُرجانة (عبيد الله بن زياد) لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة مافعل هذا بكم هكذا .

وعن فاطمة بنت علىّ قالت :

« لما أجلسنا بين يدى يزيد بن معاوية ، رق لنا وأمر لنا بشىء وألطفنا . وقام رجل من أهل الشام إلى يزيد فقال : ياأمير المؤمنين ! هب لى هذه (يعنينى) وكنت جارية وضيئة . فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بثياب أختى زينب وكانت أختى زينب أكبر منى وأعقل وتعلم أن ذلك لايكون .

فقالت : « كذبتَ والله ولؤمتَ . ما ذلك لك وله » .

فغضب يزيد . فقال :

« كذبت والله إن شئتُ أن أفعله لفعلتُ » .

قالت : « كلا والله ماجعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا » .
فغضب يزيد واستطار . ثم قال :

« إياى تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك » . فقالت زينب :

« بدين الله ودين أبى ودين أخى وجدى أهديت أنت وأبوك وجدك » .

قال : « كذبت ياعدوة الله » .

قالت : « أنت أمير مسلط . تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك » . قالت فوالله لكأنه استحيى فسكت .

ثم أعاد الشامى فقال : « ياأمير المؤمنين ! هب لى هذه الجارية » .

فقال يزيد : « اغرب . وهب الله لك حتفاً قاضياً » لأنه كان سبباً فى هذه المشادة بينه و بين زينب .

ثم قال يزيد : « يانعمان بن بشير ! جهزهم بما يصلحهم وابعث معهم رجلاً من أهل الشام ، أميناً صالحاً . وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة . ثم أمر بالنسوة أن ينزلن فى دار على حدة . معهن مايصلحهن وأخوهن معهن ، علىّ بن الحسين فى الدار التى هنّ فيها . » .

فخرجن حتى دخلن دار يزيد . فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكى وتنوح على الحسين . فأقاموا عليه المناحة ثلاثة .

وكان يزيد لايتغدى ولا يتعشى إلا دعا علىّ بن الحسين إليه . فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسين بن على وهو غلام صغير فقال لعمرو : أتقاتل هذا الفتى ؟(يعنى خالداً ابنه)

قال : لا . ولكن أعطنى سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله ! ! فقال له يزيد وأخذه فضمه إليه ثم قال : « شنشنة أعرفها من أخزم . هل تلد الحيّة إلا حيّة » .

تسيير على بن الحسين وأهله

إلى المدينة

لما أراد أهل الحسين الخروج إلى المدينة بعد أن أقاموا بدار يزيد ، دعا يزيد على ابن الحسين ثم قال :

« لعن الله ابن مرجانة . أما والله لو أنى صاحبه ماسألنى خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى . ولكن الله قضى مارأيت . كاتبنى وانه كل حاجة تكون لك » .

أظهر يزيد أسفه على قتل الحسين ولعن عبيد الله بن زياد ولكن ما ذا ينفع الأسف والندم ؟ .

وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول . فخرج بهم ومعه ثلاثون فارساً وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لايفوتون طرفه . فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم الوضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم .

فلم يزل ينازلهم فى الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة .

فلما رأوا عناية الرسول بهم ، أرادت زينب أن تقدم له هدية من حليها وحلى أختها فاطمة ، فرفض الرجل وقال :

« لو كان الذى صنعت إنما هو للدنيا ، كان فى حليكن ما يرضينى ودونه ولكن والله مافعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قد كان هذا الرجل الذى وكل إليه أمر ترحيل أهل الحسين والذى اختاره نعمان بن بشير رئيساً على حرمهم ، أميناً صالحاً لخدمهم ورعاهم لله ولقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا لم نعثر على اسمه .

فلما دخل أهل الحسين المدينة ، خرجت امرأة من بنى عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهى تبكى وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

التوابون وأميرهم

قلنا فيما تقدم ان الشيعة بالكوفة اجتمعت فى منزل كبيرهم سليمان بن صرد وكتبوا الى الحسين يستقدموه ليبايعوه .

كان اسم سليمان بن صرد فى الجاهليه يساراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم «سليمان» يكنى أبا المطرف . وكان خيراً فاضلاً ، له دين وعبادة . سكن الكوفة أول ما نزلها المسلمون وكان له قدر وشرف فى قومه . وشهد مع على بن أبى طالب رضى الله عنه مشاهده كلها .

ولما كتب إلى الحسين وقدم الحسين الكوفة ، ترك القتال معه . فلما قتل الحسين ، ندم هو والمسيب بن نجبه الفزارى وجميع من خذله ولم يقاتل معه ، وقالوا : مالنا توبة الا أن نطلب بدمه . فخرجوا من الكوفة مستهل ربيع الآخر من سنة ٦٥ هـ وولوا أمرهم سليمان ابن صرد وسموه « أمير التوابين » وساروا إلى عبيد الله بن زياد . وكان قد سار من الشام فى جيش كبير يريد العراق فالتقوا بعين الوردة من أرض الجزيرة وهى رأس عين . فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبه وكثير ممن معهما وحمل رأس سليمان والمسيب الى مروان ابن الحكم بالشام . وكان عمر سليمان حين قتل ٩٣ سنة .

قال ابن الأثير ، فلما وصلوا الى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة فما رؤى أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه .

وروى الطبرى :

لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين ، نادوا صيحة واحدة : « يارب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا . فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا . انك التواب الرحيم . وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين . إنا نشهدك يارب إنا على مثل ما قتلوا عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

غلو الشيعة

فى الاخبار عن مقتل الحسين

من ذلك أنهم زعموا أن يزيد بن معاوية كتب إلى عبيد الله يأمره بالاحتيال على قتل الحسين .

وتغالوا فقالوا ان الجيش الذى حارب الحسين رضى الله عنه ٣٠٫٠٠٠ وقالوا ٤٠٫٠٠٠ وقالوا ٥٠٫٠٠٠ وإن الحسين قتل منهم بمفرده ألفاً . وان السماء بكت يوم قتل و بكاؤها الحمرة

وقال الزهرى ، بلغنى أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط (طرى) و يقال إن الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثاً وروى أن السماء أمطرت دماً فأصبح كل شىء لهم ملآن دماً .

وزعموا فى كتبهم ، أن الحسين لما خرج قاصداً مكة الى الكوفة أتته أفواج من الملائكة و بأيديهم الحراب وهم ركوب وعرضوا عليه أن يقاتلوا معه فأبى . وأن طائفة من الجن عرضوا عليه مثل ذلك فأبى . وان الأرض زلزلت يوم قتل والشمس انكسفت حتى بدت الكواكب نصف النهار .

وروى الزهرى عن أم سلمة قالت ما سمعت نواح الجن الا فى الليلة التى قتل فيها الحسين مع أنها ماتت قبل مقتل الحسين بثلاث سنين وقالوا ان رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تتسايل دماً

فهذه روايات موضوعة مكذوبة .

وقال الامام ابن حنبل بكفر يزيد .

وقل صالح بن أحمد بن حنبل رضى الله عنهما ، قال : قلت لأبى ، يا أبت أتلعن يزيد؟

فقال يا بنى كيف لا نلعن من لعنه الله تعالى فى ثلاث آيات من كتابه العزيز فى الرعد والقتال والاحزاب . قال تعالى ﴿ والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ وأى قطيعة أفظع من قطيعة صلى الله عليه وسلم فى ابن بنته الزهراء

وقال تعالى ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا ﴾ وأى أذية له صلى الله عليه وسلم فوق قتل ابن بنته الزهراء ؟ وقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ وهل بعد قتل الحسين رضى الله عنه افساد فى الأرض أو قطيعة للارحام ؟ اه .

أقوال العلماء

فى يزيد وقتلة الحسين

لعلماء السلف فى يزيد وقتلة الحسين خلاف فى اللعن والتوقف .

قال ابن الصلاح (من فقهاء الشافعية) — والناس فى يزيد ثلاث فرق ، فرقة تحبه وتتولاه وفرقة تسبه وتلعنه . وفرقة متوسطة فى ذلك ، لا تتولاه ولا تلعنه . قال ، وهذه الفرقة هى المصيبة ومذهبها هو اللائق لمن يعرف سير الماضين ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة اه . قال صاحب شذرات الذهب ، ولا أظن الفرقة الأولى توجد اليوم . وعلى الجملة ، فما نقل عن قتلة الحسين والمتحاملين عليه يدل على الزندقة وانحلال الايمان من قلوبهم وتهاونهم بمنصب النبوة وما أعظم ذلك . فسبحان من حفظ الشريعة حينئذ وشيد أركانها حتى انقضت دولتهم . وعلى فعل الأمويين وامرائهم بأهل البيت حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « هلاك أمتى على أيدى أغيلمة من قريش » .

وقال التفتازانى فى شرح العقائد النسفية :

« اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضى به قال ، والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان تفصيله آحاداً . فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى كفره وايمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه » .

لكن ليس فى الروايات التى ذكرناها ما يثبت أن يزيد أمر بقتل الحسين وقال يزيد حين بلغه قتل الحسين « لقد كنت أقنع بطاعتكم بدون قتل الحسين » .

قال الذهبى فى يزيد : كان ناصبيا (يتدين ببغض علىّ) . فظا ، غليظا . يتناول المسكر و يفعل المنكر . افتتح دولته بقتل الحسين . وختمها بوقعة الحرة . فمقته الناس ولم يبارك فى عمره وخرج عليه غير واحد بعد الحسين . وذكر من خرج عليه . وقال فى الميزان ، انه مقدوح فى عدالته . ليس بأهل أن يروى عنه . وقال رجل فى حضرة عمر بن عبد العزيز « أمير المؤمنين يزيد » فضرب به عمر عشرين سوطا . واستفتى الكيا الهراسى فيه فذكر فصلا واسعا فى مخازيه . ثم قال ، ولو مددت ببياض لمددت العنان فى مخازى هذا الرجل .

سيرة يزيد

وموقعة الحرة

وجاء فى مروج الذهب للمسعودى فى أخبار يزيد أنه كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب . وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين ، فأقبل على ساقيه فقال :

اسقنى شربة تروى مشاشى ثم صل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندى ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا ، وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب ، وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكأ ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة . فجاء فى بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبى قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق ، وعلى الأتان سرج من الحرير منقوش ملمع بأنواع من الألوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذى سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

وفى يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس إلى ملكه يقول الأخوص :

ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله ، وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور ، أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان

ابن محمد بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسائر بنى أمية وذلك لما أظهر ابن الزبير الدعوة لنفسه فى سنة ٦٣ ﻫ . فلما علم بذلك يزيد سير إليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المرى الذى أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله طيبة .

ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج إلى حربه أهلها فكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم ، ثم خرج مسرف إلى مكة فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد مات مسرف واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار إلى مكة وأحاط بها ونصب فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد فانهدمت الكعبة واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيف . ففى ذلك يقول أبو حرة المدينى :

ابن نمير بئس ما تولى   قد أحرق المقام والمصلى

أوردنا هنا سيرة يزيد ونوادره وهى سيرة لا ترضى أحداً ، فقد ثبت من عدة مصادر أنه كان يحتسى الخمر ويتباهى بشربها ، وأنه كان مولعاً بالنساء والملاهى والألعاب وأعمال الطائشين وقد كان الحسين رضى الله عنه معذوراً فى القيام فى وجهه وتضحيته نفسه لأن هذه أخلاق منكرة يجب محاربتها ، ولم يطق أهل المدينة ومكة هذا الظلم والجور وارتكاب الموبقات وانتشار الخمور فى بلادهم المقدسة التى هى موضع احترام المسلمين كافة فقاموا بثورة كبيرة لا تأييداً لابن الزبير فقط ، بل سخطاً على هذه الفوضى وتمكنوا من طرد بنى أمية غير أن يزيد استعان عليهم بجيش الشام .

ومات يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٦٤ﻫ وهو ابن ٣٣ سنة ، وفى ذلك يقول رجل من عنزة :

يا أيها القبر بحوارينا   ضممت شر الناس أجمعينا

رأى المرحوم محمد الخضرى بك

فى مقتل الحسين

قال الأستاذ محمد الخضرى بك رحمه الله فى « تاريخ الامم الاسلامية » بعد أن ذكر بالاختصار مقتل الحسين :

« بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التى أثارها عدم الأناة والتبصر فى العواقب فان الحسين بن على رمى بقول مشيريه جميعاً عرض الحائط وظن بأهل العراق خيرا وهم أصحاب أبيه فقد كان أبوه خيراً منه وأكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة فى الاعناق . ومع ذلك لم ينفعوه حتى تمنى فى آخر حياته الخلاص منهم . أما الحسين فلم تكن له بيعة وكان فى العراق عماله وأمراؤه فاغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبو الشر فحمل أهله وأولاده وسار الى قوم ليس لهم عهد . وانظروا كيف تألف الجيش الذى حاربه . هل كان إلا من أهل العراق وحدهم الذين يرفعون عقيرتهم بأنهم شيعة علىّ بن أبى طالب . وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما فى خروجه الذى جرّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا . وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة ، لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها . غاية ما فى الأمر أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ولم يعدله عدته فحيل بينه و بين ما يشتهى وقتل دونه . وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد فى أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً وقد ذهب الجميع الى ربهم يحاسبهم على ما فعلوا . والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة ، وهى انه لا ينبغى لمن يريد عظائم الأمور أن يسير اليها بغير عدتها الطبيعية . فلا يرفع سيفه الا اذا كان معه من القوة

ما يكفل له النجاح أو يقرب من ذلك . كما أنه لا بد أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمة بأن يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل وعسف شديد ينوء الناس بحمله . أما الحسين فانه خالف على يزيد وقـــد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف .

رأى المؤلف

خطّأ الأستاذ الخضرى بك الحسين رضى الله عنه لانه لم يتبصر فى العواقب . ومن السهل أن يخطىء الانسان غيره ولا سيما ان كان هذا الغير لم ينتصر أو لم يفز بما أراد . ولو أن الحسين حارب وقهر أعداءه ونزع الخلافة من يزيد ، لما قيل عنه انه أخطأ ولم يتبصر فى العواقب .

صحيح أن الحسين لم يعمل برأى نصحائه من أهله وأحبابه ، لكنه كان معذوراً لانه كان من مبدأ الأمر مخالفا لأخيه الحسن فى تسليم الأمر لمعاوية . فلما مات معاوية وأوصى لابنه يزيد ، لم يبايعه . لان من لا يرى تسليم الامر لمعاوية لا يرى من باب أولى تسليم الأمر لابنه يزيد وكان الحسن وقتئذ سيد الحجاز ويرى نفسه أحق بالخلافة من يزيد الذى لم تكن سيرته محمودة وكان يشرب الخمر واشتهر باقتراف المعاصى . فلما خرج الحسين من المدينة قاصداً مكة أتته كتب من أعاظم الناس فى الكوفة يدعونه للقدوم اليهم لمبايعته . وكان مما قاله لهم فى رده عليهم « ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق »

يعنى ان يزيد بن معاوية لا يصلح للخلافة وليس لديه مؤهلات الامامة وشروطها ألا وهى العمل بكتاب الله والقيام بالقسط . وكان الحسين فى الوقت نفسه يشعر بالكفاءة والقدرة

والاهلية لذلك . وليس هو كأحد أفراد الأمة بل هو فرد ممتاز ومن أسرة النبى صلى الله عليه وسلم يهمه صلاح الأمة و يعنيه أمرها . فهل يترك الخلافة فى يد شاب فاسق مستهتر لا يراعى حرمة الدين ؟ و إذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجباً على كل مسلم ، فلا ريب أنه أول من يقوم به وأول من يعمل على ازالة المنكر ولو بتضحية نفسه لان مثل هذه التضحية جهاد فى سبيل الله . واذا كان الحسين لا يجاهد فى هذا السبيل ، فمن ذا الذى يجاهد ومن ذا الذى تقتدى به الأمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟

قد كان الحسين يرى ان التضحية واجبة عليه وذلك فى قوله رضى الله عنه :

« وانى لا أرى الموت الا سعادة . ولا أرى الحياة مع الظالمين الا جرماً » .

فلماذا قال ذلك ؟ بلا ريب انه رأى ظلماً واقعاً وجرماً يرتكب فى البلاد فصرح بانه لا يطيق الحياة مع الظالمين .

يقول الخضرى بك معترضاً : « أما الحسين فانه خالف على يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور والعسف » .

فهل كان يريد من الحسين أن ينتظر ولا يحرك ساكنا حتى يرى يزيد يرتع فى الظلم والجور و بعد ذلك يقوم فى وجهه ؟

انهم قالوا له بايع فأبى . فلما ألحوا عليه ، سافر إلى مكة . و كانوا قد عولوا على البيعة منه قسراً . فهل يخالف ضميره واعتقاده و يبايع و يتخلى عن شأن الامة فلا يقوم معوجها ولا يكون عاملا لاصلاحها ؟ أن ذلك لا يليق بمقامه ومنزلته وكرامته . والناس ينظرون اليه نظر السيد والقدوة . فماذا يفعل وكيف يتم له ما يريد ؟ و كيف يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ لقد ظل يفكر فى ذلك زمناً طويلاً . فلما وصل الى مكة ، أتته كتب من العراق علم منها أن الذين ينتظرون بيعته يبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ أو ما يقرب من ذلك . وقد كان فى ذلك الوقت فى حاجة الى قوة تعينه على نفاذ أمره . ومع ذلك لم يجازف بنفسه ، بل أرسل

مسلم بن عقيل ليختبر حالهم و يكتب له . فلما وصل مسلم ، بايعه ٤٠٫٠٠٠ من أهل الكوفة فكتب الى الحسين يستقدمه بعد أن رأى استعداد القوم و بعد أن بايعهم . فسار الحسين على ذلك قاصداً الكوفة . وفى هذه الأثناء أحاط مسلم وشيعة الحسين بقصر الوالى عبيد الله بن زياد . و كان على وشك أن يقتحمه معهم ويخرج ابن زياد و يطرده أو يقتله و يستولى على البلد . لكن عبيد الله استعان بأشراف الكوفة وهؤلاء بذلوا جهدهم لتفريق عشائرهم الذين بايعوا للحسين ونصحوهم بالابتعاد عن الفتنة وعدم الخروج على الوالى وقد راعى هؤلاء الرؤساء مصالحهم الشخصية .

فلما قدم الحسين ، وجد أن القوم قد انصرفوا عن مسلم وان الوالى قبض عليه وقتله . و كان من العار عليه الفرار . فآثر أن يبقى هو وأهله ويحارب الى آخر رمق وأن يذهب شهيد الواجب

ومالنا نستنكر على الحسين تعريض نفسه للقتل وقد عرّض أبا بكر قبله نفسه للقتل فقام وخطب فى قريش وتلا عليهم القرآن وليس معه أحد ينصره . فانهال الكفار عليه ضرباً حتى كادوا يقتلونه . وذلك فى بدء الاسلام .

ثم لما نصحه أصحابه وفيهم عمر بن الخطاب وغيره من كبار الصحابة الذين لا يشك فى شجاعتهم واخلاصهم باجتناب قتال أهل الردة لكثرتهم ، أصر على قتالهم ولو بقى وحده .

وقد عرض على الحسين الفرار فأبى ولما طلب اليه أن يسلم بنفسه لابن زياد أبى وقال «لا أجيب ابن زياد أبداً فهل هو الا الموت فرحبا به» .

نعم ان الحسن رضى الله عنه قد سلم الأمر لمعاوية اجتناباً لاراقة دماء المسلمين ، لكن معاوية ليس كابنه يزيد . فانه قد برهن على حسن سياسته عندما كان أميراً للشام زمن عمر وزمن عثمان و كان صحابياً فاضلا حليما كريماً ، غير مرتكب للمحرمات . فشتان ما بينه و بين ابنه الذى كان باعتراف الجميع لا يستحق الخلافة .

أما الذين نصحوا للحسين بعـــدم المسير الى الكوفة ، فانهم كانوا مصيبين لانهم أشفقوا عليه اذ توقعوا أن يقتل . لكنه لم يعمل بنصحهم لانه كان لا يبالى أن يقتل مجاهداً . هذا هو رأينا فى الموضوع . فكل كان له وجهة نظر محترمة وكل كانت له ظروفه .

من خطب الحسين

عليه السلام

خطبته رضى الله عنه لأهل الكوفة يدعوهم إلى الجهاد مع أبيه :

« يا أهل الكوفة ، أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار ، جدوا فى إصفاء ما وتر بينكم وتسهيل ما توعر عليكم ، ألا إن الحرب شرها وربع وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أهبتها واستعد لها عدتها ولم يألم كلومها قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها فذاك قمن أن لا ينفع قومه وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفيئة » .

ومن خطبه رضى الله عنه قوله :

اعلموا أن المعروف يكسب حمداً ، و يعقب أجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه رجلاً جميلاً يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رجلاً لرأيتموه رجلاً قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار .

ومن دعائه بالكعبة الشريفة

إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكراً ، وأبليتنى فلم تجدنى صابراً فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر ولا أدمت الشدة لترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم .

ومن كلامه فى الحرب التى قاتل فيها

قد نزل من الأمر ما ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ، وإلا خسيس عيس كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله عز وجل . وإنى لأرى الموت إلا سعادة ولا أرى الحياة مع الظالمين إلا جرماً .

كلماته عليه السلام

من كلماته وحكمه رضى الله عنه قوله :

(١) لا تتكلف مالا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد . ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً .

(٢) شر خصال الملوك : الجبن عن الأعداء والقسوة عَلَى الضعفاء والبخل عن الإعطاء .

(٣) إن الناس عبيد الأموال والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم . فإذا مُحصوا بالابتلاء قلّ الديانون .

(٤) إن خير المال ما وُقى به العِرض .

(٥) من جاد ساد، ومن بخل ذل، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه غداً .

المراثى

رثت الحسين عليه السلام زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالت :

واحسيناه فلا نسيت حسيناً … أقصدته أسـنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً … لا سقى الغيث بعده كربلاء

ورثته الرباب زوجته فقالت :

إن الذى كان نوراً يستضاء به … بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحـة … عنا وجُنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به … وكنت تصحبنا بالرحم والدين
مَن لِليتامى ومن للسائلين ومن … يُغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركم … حتى أغيب بين الرمل والطين

ورثته سكينة ابنته فقالت :

لا تعذليـه فهَمٌّ قاطع طرقه … فعينه بدموع ذُرَّف غدقه
إن الحسين غداة الطف يرشقه … ريب المنون فما أن يخطئُ الحدقه
بكف شر عبـاد الله كلهم … نسل البغايا وجيش المرّق الفسقه
يا أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم … غداً وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حل بكم إلا بمن لحقـه … صيرتموه لأرماح العدا ودرقه
يا عين فاحتفلى طول الحياة دماً … لا تبك ولداً ولا أهلاً ولا رفقه
لكن على ابن رسول الله فاسكبى … قيحاً ودمعاً وفى إثريهما العلقـه

وقالت بنت عقيل بن أبى طالب ترثى حسيناً ومن أصيب معه :

عينى أبكى بعبرة وعويل واندبى إن ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علىّ قد أصيبوا وخمسة لعقيل

وقال سليمان بن قبة الخزاعى :

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها حين حلت
فلا يُبعد الله البيوت وأهلها وإن أصبحت منهم برغمى تخلت
وكانوا رجاء ثم عادوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم ولم تنك فى أعدائهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكى السماء لفقده وأنجمها ناحت عليه وصلت

وقال منصور النمرى :

ويلك يا قاتل الحسين لقد بؤت بحمل ينوء بالحامل
أىّ حباً حبوت أحمد فى حفرته من حرارة الثاكل
تعال فاطلب غداً شفاعته وانهض فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندى بحال قاتله لكننى قد أشك بالخاذل
كأنما أنت تعجبين ألا تنزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما ربك عما ترين بالغافل
ما حصلت لامرئ سعادته حقت عليه عقوبة الآجل

قيل وسمع بعض أهل المدينة ليلة قُتل الحسين منادياً ينادي :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً　　أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم　　من نبيّ ومن مَلَك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داوُو　　د وموسى وصاحب الإنجيل

قال الشاعر يرثي علياً بن الحسين :

لم تر عين نظرت مثـــله　　من محتف يمشي ومن ناعل
يغلي نيء اللحم حتى إذا　　أنضج لم يغل على الآكل
كان إذا شبت له ناره　　يوقدها بالشرف القـــائل
كيا يراها بائس مرمل　　أو فرد حي ليس بالآهل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى
أعني ابن بنت الحسب الفـــاضل
لا يؤثر الدنيـــا على دينه　　ولا يبيع الحق بالباطل

وفي العباس بن عليّ يقول الشاعر :

أحق الناس أن يبكى عليه　　فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده عليّ　　أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء　　وجاد له على عطش بمـــاء

وفيه يقول الكميت :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحلو
شـــــفاء النفوس من الأسقام

قتل الأدعيـــاء إذ قتلوه
أكرم الشاربين صوب الغمام

وفى عون بن عبد الله بن جعفر يقول سليمان بن قبة :

واندبى إن بكيت عوناً أخاه   ليس فيما ينوبهم بخـــذول
لعمرى لقد أصـــبت ذو القر   بى فبـكى على المصاب الطويل

فهرس بأسماء الرجال

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

أسماء النساء

أسماء الأماكن

فهرس

الحسن والحسين رضى الله عنهما

صفحة

صفحة